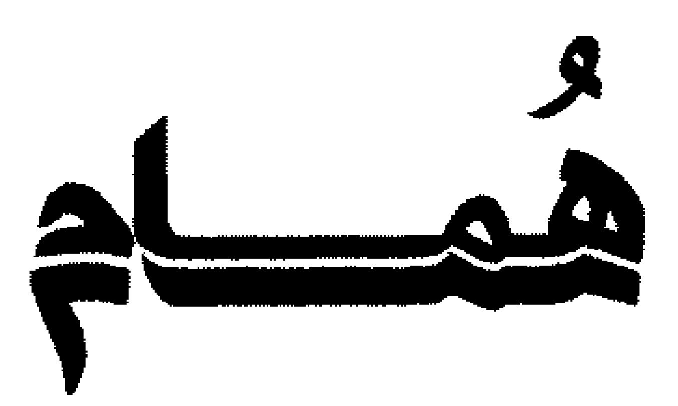
علي أحمد باكثير



في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

89

همّــام

فى بلاد الأحقاف

همّام

في بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

علي أحمد باكثير

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

مُقَدمَة المـؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبتها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرمية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحا إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرمية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فوافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف

علي أحمد باكثير

القاهرة

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

٣ أغسطس ١٩٦٥

تصديـــــر
بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة
حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفاقًا ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المترامية الأكناف ، ولهذه الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركسب متون البحار حتى يبلغ أرض الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه قبساً من نور بهيّ .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ، ولهذا تجدّدت فيه الروح الناهضة ، التي أوحت إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه الراهنة ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحًا تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تتزعم الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدرامة صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليٌّ الله ذو الجبــــو ة والأرديــــة الخضـــر
وذو المســـواك في العمــة قــد أربــى علــى الشـبر
ورب الســبحة الغـــارق في التســـبيح والذكـــر
بهـــا يذكــر في النــاس ولا يذكـــر في الســرّ

يرجع ناظم هـذه الدرامـة جهـل شعبه إلى جهـل المرأة ، فهـو يريدهـا متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكانتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شابًا مجددا يسخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقي إلا عنتا ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :

صاحبات الزمان نحنُ .... حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صورًا من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف — بالرغم من هذه الثورة المضطرمة في نفسه — لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بألفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما خُتمت به لكان ذلك أشد وقعًا وأجلّ أثرًا ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويبث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ — ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

الإهـــــــداء

إلى مصدر الوحي الأول !

إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى إليّ !

وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،

وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية : مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل

زمن الرواية : العصر الحاضر

أشخاص الرواية :

همام	ـ	بطل الرواية
حُسن	ـ	حبيبة همام
محمد	ـ	صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	ـ	نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	ـ	أخت همام
خديجة	ـ	أم حُسن
شهاب	ـ	عم حُسن ووكيل أبيها
ولي الله	ـ	خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	ـ	صديق محمد
الأمير أمجد	ـ	أمير البلاد
بكر	ـ	غني يطلب يد حُسن

الشخصية	الوصف
أحمـــــــد	جماعة من الأدباء
عتيـــــــل	
ابـــن عيســـى	
عبد الله المغني	
عــــــــامر	بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل
ناهيـــــــة	أخوات عامر البدوي
ســـــــعدى	
لبنـــــــى	
نكرات مسرحية	رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات

الفصـــــل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمددًا واهي الأركان ، يئن أنينًا خفيًا يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل » :

المشهـــــد الأول

زهراء : أخي ما بـك اليومَ ؟ إنـي أرا ك قليـلَ النشـاطِ كثـير الضجـرْ
أأنـت مريـضٌ وُقيـت الشـرو ر ، وبلغـك الله طـولَ العُمُـر

هُمـام : أي إنَّ بـي مرضـاً في الفـوا د يـا زَهْـرُ يُنذِرنـي بـالخطر
ولا تجهلـين مـاذا بعينــو كِ ممـا بـدا منـه أو مـا استتر
فماذا وراءكِ ؟ هل من جديـ ـد يخفِّف من وجديَ المستعِر ؟

زهراء : أخي لا تخفْ في الهوى أن تخيـ ـبَ؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
ولا تجعلـنَّ ليـأسٍ إليـكَ سبيلا ففي اليأس فوتُ الوطر
أيـأسُ مثلـكَ وهـو الرَّجيـح في الكِفَـفِ الشـائلاتِ الأُخـر ؟
فـأحرى بغـيرك أن يستريحَ إلى اليـأس . لا بـدَّ أن تنتصر
كـأنّي بحُسْـنٍ تُـزَفُّ إليـكَ عروسـاً تلـمُّ ذيـولَ الخفـر
تُحيـط بهـا الغانيـاتُ الحسـا نُ كالبـدرِ بين النجـوم الزهـرْ

كــأنيّ بأبياتِنــا قــد غــدتْ   تُصفِّـــق بــــالفرَح المزدهِــــر
وأنتَ عــــروسٌ تُحيِّي الوفــو   دَ وتخطُـــر بين صفــوف الزُّمَــر

هُمــام : أزهــراء لا عَدِمَتْـــكِ الديـــا   رُ ، حديثُك يقشع عني الكـدر
لأنــتِ العــزاء إذا مـــا أتيــتِ   وأنــتِ الهنــاء وأنــتِ الحَــبَرْ(١)
فأيــن الكتابُ ؟ أما تقرئــينَ ؟

زهراء : بلى ! ذا الكتاب معي قـد حضر
كتــاب كريــمٌ خليــق بـــه   بــأن يكتبــوه بنــور البَصَــرْ
«بلوغ المرام» و«سُبْل السـلا   م» عليـه تُحَجَّـل منـه الغُــرَرْ
أحــاديثُ طـــه وآيُ الكتــا   ب تلألَـؤُ فيهــا خِـلالَ السَّطر
وأقوال مُجتهدي الصحب والأئمّـ   ـــةِ مــن كـل حِـبْرٍ أبــر
فيـأخذُ منهـا الفتـى مـا صفـا   ويـترك منهـا الفتـى مـا كـدَرْ
ومَنْ لاذَ مِن بعدهـا بالهـوى   فإن الجحـيمَ هـي المستَقَـــرْ

« يتبسم همام إعجابًا بهذه الـروح الإصلاحية التي وفق لبدرها في نفس أخته . وتعرف هي أن في مثل هذا الحديث تسلية له وتهدئة لأفكاره المضطربة فتطّرد في حديثها » :

فـلا سَـلِمت كتُـب الجـامدينَ   ولا فـــاز قارئهــا بــالوطر
صَحــائفُ لا روحَ فيهــا ولا   يَجول بهـا ذكـرُ خـير البَشـر
يُصـوِّر فيهـا مُحـالُ الأمـو   رِ ، ويُترك فيها مُهِـمُّ الصُّـور !
فتلـك الجواهـر أيـن الرِّمـا   لُ منهـا وأين خسيس الحجـر ؟

---

(١) الحبر : السرور

« يستولى على همام الانبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضًا عليك أن تنشُرى هـــ ـــذا الهدى فى جماعة النسوان

فهُدى الشّعبِ من هدى أمّهـــ ـات الشعب فى كل موطن وزمان

وبناتُ الأحقافِ أولى بأن يحلِقـــ ـــن شتّى العلـوم والعرفـان

وبـأن يَـطْهـرنَ مـن لَـوَ ثِ الأوهـام ممـا يخـلّ بالإيمـان

فيريـن الحياةَ مـن غير معـنىً غير تلك الحياة وهى معانى !

زهـراء : لِتَطب يا همامُ نفسًا فما تـر جو سأسعى فيـه بغير توان

ولقد سرّنى استماعُ صديقا تى لقولى وقدرهُن مكانى

هُمـام : بارك اللّه فى الصّغار ففيهنّ قَبولٌ للحق إمّا دُعينا

إنّما الشرُّ فى العجائز يجمُد نَ جُمود الحصى فلا يهتدينا !

زهـراء : نحن بالأمس ثُلّةٌ ضمنا مجلسُ عُرس فى بيت جار أبينا

ولدينا شريفةٌ جمعَتْ حُسنًا ولطفًا جمًّا وعقلاً رصينا

سمِعَتْنى ــ ولستُ أعرفها ــ ألـــ ـقى على الحاضرات درسًا مبينا

سُقْتُ من أخبار الشهيراتِ فى الإسلام ما ردّهن لى يُصغينا

شاقهن الحديث عن سيّداتٍ فقن بعضَ الرجال علما ودينا

ثم حرّضتهُن أن يتشبّهن بتلك الشموس أو يقتدينا

قلتُ ليس الرجالُ أولى بكســ ـب العلم منا فإننا مُستوونا

ومن العلم ما يُعرّفنا الدين ومنه ما سدّ فإننا مُستوونا

وأهم الأمور تربيةُ الأو لاد كى ينشأوا من العاملينا

صاحباتُ الزمان نحن ! حياة النـ ـناس فيه والموتُ فى أيدينا !

إن نمتْ فالورى بنا سُعداء وشقاءٌ حياتهم إن شقينا

فعلينـــا لربنـــا واجبـــاتٌ ليس نبرا مـن إثمها مـا بقينـا
كيف نستطيعُ بالجهالةِ يومـا أن نـؤدي أمانـة الله فينـا ؟
صحْنَ في أسماع الرجال : أليـ ـس العلم فرضًا على النساء مبينا؟
فيم غادرتُم البنات على جهل وقمتم تعلّمـون البنينـا ؟
هـل أقمتم مدارسًـا للواتـي إذ أقمتم مدارسًـا للذينـا ؟

* * *

فتدنـت تلـك الشَّريفة منـي وحبَتْـني مـن الثنـاء فنونـا
ثم قالت : عمَّن تلقَيتِ هـذا ؟ قلت عن صِنْويَ الذي تعرفينا
عن همامٍ . قالت همام أضحى بحُسْنٍ بين الورى مفتونـا ؟
والذي يذكرون عنه ابتداعًـا بعس هـذا الورى وما يَفترونا !
إنني قد أنستُ من قولك السّا لـفِ روحًـا فيّاضـة ويقينـا
فتساءلتُ مَن يكونُ الذي لقّـ ـنَ هـذي الهُـدى تلقينـا ؟
فذكَرْتِ امـرءًا جُعلتُ فِـداهُ دونَ ما عابَهُ بـه الجاهلونا !
ليتني أستطيع أن أتلقّى عنـ ـه شيئًا ! أنّي لِـذا أن يكونـا
قُلت : نفسي فداكِ يا ابنة طه أنتم آلُ بيته الأكرمونـا
ليس بِدعًا أن تنصروا سنـ ـةَ الهادي بنصرهـا قمِنونـا
إنما البدعُ أن يكون بنو المخـ ـتار عن هديه من الناكبينا !
غير أن ما رأيتُ مثلكِ في نسـ ـوة «سيُّونَ» تعشقُ المصلحينا
إن سرًّا في الأمر يَحْسُنُ لـو أد ريـه ، قالت يَسرُّني أن يَبينا
نحن من بيت سادةٍ يكرهُ الدخْـ ـل ويأبـى من الأمور الدُّونا

جدُّنــا الأكــبر الشريف « عقيــل »
ســنَّ نهــج الهــدى لنا ما حيينــا
عنــدنا من آثــاره « سيفهُ المســلُو
ل » يَفْــري أوهامهــم والظنونــا

* * *

بلغــي عــني الســلام همامًــا   ورجــائي إيــاه في الناجحينــا
وغدًا نلتقي ويحرســك الرحمــ   ــنُ قلت الرحمن يقيــك فينــا
همــام : بــارك الله فيــك ! هــذي فتــاة   مــن سَليل الأفــاضل الأطهرينــا
جدُّهــا كــان في الحجــاز منــارًا   للمعــالي يؤمُّــه الطالبونــا
ذبَّ عــن سنَّةِ النــبي ولاقــى   مــن بــني قومــه أذىً وفنونــا
رَبِّ آمنــتُ بالوزراتــةِ ! أنــتَ   الله أرســلتها لنــا قانونــا
هــذه روح جدِّهــا ، ربِّ وفقــ   ــها وآزر بســعيها الناهضينــا
« يلتفت إلى زهراء مسائلا » :
ألديهــا زوجٌ ؟
زهراء : قضى زوجُهــا النحــ   ــب صغيرًا لم يبلغ العشرينا !
وقضــى قبــل زوجهــا أبواهــا   فهــي ثكلى تَعيش عيشًــا حزينــا
خبرتني عنهــا سعيدة إذ كــانت   قــد استُخدِمتْ لديهــم سنينا
همــام : مَــن يليهــا إذن ؟
زهراء : شــقيق أبيــه   عالهــا رغــم كونــه مســكينا
همــام : ذكّرينــا لكــي نواســيَه القَيْــ   ــنة بعــد الأخــرى .
زهراء : أصبت قمــينا

همـــام : لم تَجدْ بعد زوجهـــا خاطبًا ؟

زهراء : لا .

همـــام : أو ليست حُسْنًا كمـــا تذكرينا ؟

زهراء : بـل هـي الحُسن كلُّـه ـــ عَلِـمَ اللهُ ـــ متاع الرائـين والسامعينا !

همـــام : غير أن الشّبابَ في هـذه الأنحـــــاء بالحســن ليـس يَحْتفلونـــا

إنمـــا ينظـــرون للمـــالِ فالمـــال هـــو الزوجـــةُ الـتي يخطبونـــا

ويَــرَوْنَ الكمـــالَ في ذات أمٍ لا يُــرَى زوجُ بنتهـــا مغبونـــا

تتوخـى رضـاهُ في كـل حـين فتريـه مـــن الطعـــام فنونـــا

فكأن لم يكن لديهم من الحـبِّ سـوى مـــا يسـدُّ منهـم بطونـــا

المشهـــد الثانـــي

« في القاعة الكبرى للمدرســة حيث تقام الحفلة السنوية وقد حضر إليها النـاس من كـل الطبقات ليشاهدوا التلامـذة ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .

التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يـا بـني مدرســتي إنـي لكـــم نـاصحٌ يصفيكـــم النُصـــحَ أمــين

لَبنـاتُ الشّــعب أنتُـم فليكـــن كلُّهـا من ذلـك الصّلـب المتـين

إنَّ برنامـــــجَ تدريسِـــكُمْ ليس برنامـــج قـــومٍ مرتقين

تُرهِقون النشءَ بالحفظ فمِن ... حفظ تقريرٍ إلى حفظِ متون
ليس في ذاكمْ لهم من صالحٍ ... إنه يقتل فهمَ الناشئين
فدعوا الحشو وربُّوا فيهم ... ملكات الحذق في كل الفنون
استقوا التوحيدَ من ينبوعه ... وانبذوا كتب الصفات الأربعين
لا تزيد النفس إلا حيرةً ... لا كأسلوب الكتاب المستبين
لم تؤلف لكم هاتيك ، بل ... ألفوها لِحِجَاج الملحدين
واقصدوا في الفقه لا يأخذكم ... ليس في الفقه غذاء الناهضين !!

« أحد الشيوخ يقوم ويحاول تسكيت همام ويصيح » :

يا عبادَ اللّهِ ! هذا مارقٌ ... يندب الناس إلى دينٍ جديد
أسكتوه أسكتوه ! إنه ... يا عباد الله شيطان مريد

شيخ آخر : هـذا وهابيٌّ !

ثالث : هـذا معتزليٌّ !

رابع : سدُّوا فاه

خامس : لا تدعوه يغوي الناسَ !

سادس : هـذا ما كنا نخشاه !

« همام رافعاً صوته في شيء من الغضب » :

أنا لا أصغي لتسكيت امرئ ... أنا لا أخشى صياح الصائحين
خطبتي لا بدّ من إتمامها

شيخ متنور : أتمم الخطبة إنا سامعون

لا تُبل ، من رام أن يقطعها ... فليقم إن شاء في المنصرفين

همام : أنـا لم أدْعُ إلى غير الهُدَى وإلى غير نهُوض المسلمين
أنقِمْتم دعوة الناس إلى سُنَّة المختار خير المرسلين

« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شبابَ الحي ، لا يُقصكم عني مقالُ الجامدين !
.. .. ليس في الفقه غذاء الناهضين !
اقرأ وافقَه حديثَ المصطفى تعبروا الشكَّ إلى برد اليقين
لا تهابوا اليومَ أن تجتهدوا إن سرَّ العلم للمجتهدين !!
وكتاب الله باقٍ خالدٌ تنجلى آياته في كلِّ حِين
ادرسوه درس أحياء ولا تدرسوه دَرْس قوم ميّتين
ادرسوه وفْقَ نهج خطَّه (مصلح الإسلام[1]) ذو الفضل المبين
إنه يشْعِل في أنفسكم جذوةَ الدين وعِزّ المؤمنين
إنه يبعث في أرواحكم قوةً هائلةً لا تستكين
فتح الدنيا بها أسلافنا من ربَى الغرب إلى السور المكين
وأضعناها فهُنّا بعدها وغدونا مُضْغةً للآكلين
ليست الأخلاق لِينًا في الخُطى وخضوعًا هو للنفسِ مهين
إنما الأخلاق أن لا تُبطِنوا غير ما للنَّاسِ أنتم تظهرون
إنما الأخلاق أن لا تتركوا نصرةَ الحقِّ للَوم اللائمين
رفعَ الإسلام من أنفسكم فارفعوها عن دعاء المقْبَرين
لا تذلُّوا لسِوَى الله ، ولا تخضعوا إلا لربّ العالمين

---

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

للـــهِ مـــا أفصَحـــه !

الآخر	:	والحقُّ ـــ وا للهِ ـــ مَعَـــه !
الأول	: لكـــن هـــؤلاء لا	يعفوننـــا أن نســـمَعه
الثاني	: أقوالـــه مؤلمـــةٌ	لهـــؤلاء موجِعَـــه
الأول	: لأنهـــا تقطـــعَ مـــا	كـــان لهـــم مـــن منفعـــه
همام	: حَكموا الأنصـاف فيما بينكـم	لا يكـن قـومٌ لقـوم حـاقرين
	فالمســـاواة علـــى أعْدَلِهـــا	ميزة الإسلام عنـد البـاحثين !
	وأخـو الحـق إذا لم يُعْطَـهُ	أخـذ الحـق انتهابًـا بـاليمين

* * *

المشهـــد الثالـــث

« بهو كبير ـــ في دار أحد أدباء البلد ـــ مفروش بالبسط الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضر . جماعة من الأدباء في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدبين يشربون ويتحدثون. أمامهم عـدة شاي مصقولـة يخطف بريقها الأبصار يتولاها أحدهم . يدخل همام مسلمًا » .

همام	: عمـوا مسـاءً يـا أصدقـائي	
الحاضرون	:	مسّـــيت بالخـــير والهنـــاءِ

أهــلاً وسهــلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يــذم فينــا أبــا العــلاء

همام : في الديـن أو في البيـان ؟

أحمد : بــل في كــل الشؤون علــى الســواء

همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بــدَّ مــن العــدل في القضــاء

« ملتفتًا إلى أحمد »

وأنــتَ مــاذا تقــولُ فيــه ؟

أحمد : إنـــي أراهُ في الأتقيـــاء

همام : كِلاكُمـا قـد غـلا ، فهـذا ذمَّ ، وذا لَـجَّ في في الثنـاء

بــل هــو في شــعرهِ إمــامٌ جَــدَّد نهجًــا للشــعراء

لكنَّــه كــان في ارتيــابٍ مــن ديـن مــولاه وامـتراء

فقــال مــا قــال غـيرَ خــاشٍ ولا مُــداجٍ ولا مُــراءِ

ومُمكــنٌ أنَّــه حُظِــي في أخــرى لياليــه بــاهتداء

فرُبَّ شــكٍ أفْضــى بمــولا ه ـ بعد ما حــار ـ للجــلاء

« تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأسًا »

شــرابُ الشــاي خــيرٌ لي مــن الدنيــا ومــا فيهــا !

إذا مــا أقبلــت كــأسٌ كخــزدٍ في تهاديهــا

قــولى الهــم مــن نفســي ودانــت لي أمانيهــا !

عرفتــم مــنْ هــو القــائلُ هــذا الشِّــعرَ في الشــاي ؟

يــرى في الشــاي دنيــاه فمــا صِحَّــةُ ذا الــراي ؟

عقيل (أحد الأدباء) :

لا تعجبنّ همــامُ تلك حقيقــةٌ كالشمــس فيها الشاربون سواءُ

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ... ما لم يكن شايٌ ولا ندماء ؟

همام : إنَّ في الشاي عزاءً ... لصريع الهم والغمْ
لكئيب أو حزين ... أو عميدٍ أو متيَّم
حاز لُطفَ الخمر إلا ... أنه غير محرَّم ؟
من صفاء اللون في العين ... وحُسنِ الذوق في الفم
هو مَسلاة أديبٍ ... فيه من بلواه مَعْصَم
ورَسولٌ للتآخي ... يجمع الناس وينظِم
غير أنّ القصدَ في الأشيا ... ء منجاةٌ ومَغْنَم
فغلَونا فيه حتى ... صار فينا يتحكّم
وغدا وهو على القو ... ت الضروري مُقَدّم !
وشربناه بلا وزنٍ ... وتقدير مُنظَّم
فلكَمْ يَسْلبنا الما ... لَ وكم يُسقِمنا كم
ولكَمْ ألحى على بيتٍ ... كريم فتهدّم
ولكم عائلةٍ جرّ ... عها صابًا وعلقم
ولقد زاد بلاءً ... أنه في قُطرنا عَمْ
فهو في القصر ، وفي البيـ ... ـت ، وفي الكوخ المرمرم !!

عقيل ــ ملتفتًا إلى «عبد الله» المغني :

يا بلبل الأفراح والسُّرور ... اصدَحْ بموسيقاك في الحضور
غنِ لنا شعر (أبي كثير) ... في الشاي وانشُر ميت القبور !

(يتهيأ المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :

يا صاحب القلب الشقي بقومه ... إرفق بهذا القلب لا يتحطم !

اخـدم بلادك ما استطعـت وكل إلى
مـــولاك ما لم تستطعـــه وسلّــــمِ
ومن الجفـا أن لا تحـيي مثلمـــا حيّاك وجه العيـد مبتســـمَ الفمِ
ذَرْ بعضَ همــــك واقض بعض حقوقــه
لا بـــــدَّ للمحـــــزون من مُتَبسَّـــم !
واقــذف شياطينَ الهمـــــوم بأكـــؤس
تنفـــضُّ من (بُـــرَّاد) شاي مُعلَــم[1]
مخضـرةٍ جنباتــه فـاعجب لــه من جنـة خضراء فوق جهنـمِ !
شاي يفـوز من احتسـاه بلثمـةٍ من كل خدٍ في الحسان ومبسمِ !
من (باسلامةَ) مثــل ذوب التــبر أوْ
من (مشعبيّ) مثل لـــون العنـــدمِ[2]
مثـل الطـلا في لونهـا وصفائهـــا ونقيضهـــا في رجسـهـا والمـــأثم
لا نقـصَ عنهـا فيـه إلا أنــه حُلـوُ المـذاق وأنــه لم يحـرُم
فاشربه متخذًا نديمَـك كـل ذي أدبٍ متـــى نادمتَـــه لا تنـدمِ

همـام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجـــدت

آخر : لقد رَوَّحـــــتَ بـالصّوت أكبادًا وأرواحــا

همـام : وقـد تفـرد بالإحســان شـاعرُنا إذ ضمَّن الشعر توصيفًا وإصلاحا
وأنصِتوا لشاعـــر من شعرائكـم سَـــرِيْ
« الحامديّ » يصف الشاي بوصف عبقري !

---

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .
(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها مــاء الغمــام وهاتهــا ... لي والحبــاب يجــول في جنباتهــا
صهباء ما عبثت بها يدُ عاصــر ... ما عاشــرَتْ إلا أكــفَّ سُقاتِها
من جيّــد الشــاي استحال عصيــرها
فغدت تحاكي الشهــب في جاماتهــا
قــد راق منظرهـا ورق زجاجــها
فلِعلــــةٍ لم يُدهقــوا كاساتهــا
لولا انتصــافُ الكاس خيّــل أنهــا
في كــف ساقيهــا تقــوم بذاتها !
وإذا الهموم على النديــم تكاثفــت
وبــدت أشعتها جلت ظلماتهــا !

حقّــا لدينــا نهضــةٌ ... أدبيّــــةٌ لا تُنكــــرُ
عَمَــرت نوادينــا ، بهــا ... يستبشــــر المستبشــــر
نشــطَ البيــانُ فشــاعرٌ ... يشــدو وآخــر ينــثر
هــذا لعمــري مُــؤذِنٌ ... بنهوضنــــا ومبشّـــــر

(يتنهد)

لكــنَّ .. مَشْــيُ العِلــم في ... أحيائنـــا متعــــثّر !
جَمَدَ (الفقيه) على متو ... ن بالشّــــروح تُفسَّــرُ
وكأنهــــا التــــنزيل أو ... هــي بالقداســة أجــدرُ !!
ويرتّــل (النّحــوي) ... كُتــبَ خلافِــهِ ويقــرّرُ
يمضــي عليــه عمــره ... لا يســتطيع يُعَــبِّرُ !
أمــا (الحديــث فــإنهم ... يتلونــه كــي يؤجــروا
ووظيفة (الذكر الحكيـــ ... ـــم) علــى القبور يكرّرُ !
أمّا سوى هــذي العلــو ... م فأمــره مُستَحقَــرُ

كيف النهوض لأمة لا علمَ فيها يُذكَر ؟
في الدين والدنيا جميـ ـعًا سيرُها متقهقِر !

أحد المتأدبين (معترضًا) :

إنّا علينا السعي للـ ـأخرى ؛ وللدنيا سوانا !
أو ليستِ الدنيا بسِجْـ ـنِ المؤمنين كما أتانا ؟

همام: الله يأمر أن نكو نَ أجلَّ أهل الأرض شانا !
وأشدهم بأسًا وأر فعهم وأعلاهم مكانا
كيما نقيم العدل في الـ ـدنيا ونملأها أمانا
فإذا اتبعنا ما يقولُ فسوف يُدخِلنا الجنانا
فنرى بها الدنيا كسجـ ـنٍ لا نرى فيها رضانا
والدين بالدنيا فليس يقـ ـومُ ما ضعُفت قُوانا
وطبيعةُ الإسلام لا ترضى المذلةَ والهوانا
هذا المرادُ ، وحسبُنا قرآنُ مولانا بيانا

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشراف قوموا وانهضوا
فكفى ما كان منكم من كَسَلْ
اعملوا لا تتوانَوْا واعلموا أنّ هذا دينَنا دينُ عمل
بينما الناسُ على أعمالهم بين تشمير وجدّ مكتمِل
تتهادَوْن كأسراب القطا وتمشّون كقُطعان الهمَل !؟
أفلا يغشاكم فيه حيا ؟ أو لا يلحقكم فيه خجَل ؟

أحدهم : إنهم أشياخنا ينهوْننا عن تعاطينا لأعمال السفل
فعلينا العلم أن نخدمه وسيغنى من على اللّه اتكل !

همام : إن هذا الرأي منهم خطل وأراكم لا تقرون الخطل
فمتى عُدَّ من العار على سيّدٍ مسعاه في خير السُّبُل ؟
يجلب الخير إلى أهليه مِنْ والدٍ أعمى وأمٍ تبتهل
وأخيّاتٍ على أوجهها كمُدة اليأس ولألاءُ الأمل !
تتمنى ما لدى جاراتها من أثاث وحُليّ وحُلل
أو لم يكتسب المختار في عهده والآل والصحب الأول؟
طالب العلم ولا كسبَ له بسؤال الناس لا بُدَّ يذِل
ليس من لم يكتسب متكلا إنما الكاسب عين المتكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياه
لا تجمدوا ! إن الجمود سبيل من كره النجاه

* * *

أسلافكم وجدودكم شهدوا عصوراً غير هذا
فلو انهم شهدوه ما انتبذوا عن الدنيا انتباذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم حججًا ، ولكن محّصوها
فخذوا محاسنها وخلّوا ما ترون الريْبَ فيها

* * *

لا بأس من تمجيد ذكـــراهم ففي التمجيد ذكرى !
كم حاضرٍ تحت الرمـــوس أفادهُ ماضيه نشرا

* * *

لكن بحيث يُهيب نحـــو المجد منطلقَ القيودِ
العصر غير العصر والـــأشبال أبناءُ الأسودِ !

* * *

كانوا هداة الناس بل كانوا ملائكة التُّقى
قد أكبروا شأنَ الفناءِ وأصغروا شأن البقا

* * *

لما سرت رُوحُ التصوّفِ والتبتّل فيهمُ
مقتوا الحياة كأنّها أشياءُ لا تَعنيهمُ

* * *

فالموتُ هَمُّهمو ، وغايةُ همهم دار المآبْ
فَعُنُوا لهذا بالقبور وما إليها من قِباب

* * *

وتعشقوا الموتى فأحيَوْا لادّكارهم المواسمْ
يجدُون عندهم العزا عن عيش سوءٍ غير دائم

* * *

فقفوا أمامهمُ خشوعًا في سكون واحترام
فقد انقضت أدوارُهم فعليهمُ أزكى السلام

* * *

شَهدوا زمانًا فيه قد غلب الجمودُ على ذويه
أنلومهم ظلمًا لأنْ كانوا فريقًا من بنيه !؟

* * *

إنا لنظلمهم إذن وهم التقاة الصالحون
راموا رضى مولاهمُ في كل شيء يعملون

* * *

لكن عليكم أن تكونوا للحقيقة طالبينا
لا تقبلوا ما جاءكم عن هؤلاء مُسَلِّمينا

* * *

وتدافِعوا عنه على جهلٍ بحق أو بباطل
ليسوا بمعصومين عن خطأٍ وإن كانوا أفاضل

* * *

اليوم قامت نهضةٌ في عالم الإسلام حيَّةْ
وسرت إلى الدين الحنيف حياته الأولى القويّةْ

* * *

شبّتْ بها الحربُ الضَّرُو س على الطوارئ والبدعْ
مما به الأهواء قد مًا ألصقته والشِّيَعْ

* * *

فلقد هوَتْ بالمسلمين إلى الحضيض الأوهدِ
وقضت على أوطانِهم للمستبدِّ المعتدي

* * *

لا بدّ من هذا الرجو ع إلى الكتاب الخالد
وإلى هُدَى المختار والـ ـسَّلف الحكيم الرّاشد

* * *

فعليكمو أن تدخلوا هذا الغمار ولا تكعُّوا
أنتم بنو الهادي فما في سبقكم للفضل بِدْعُ

* * *

كونوا مِثال النُّبل كو نوا قادةً للمسلمين
والدين كونوا في طليـ ـعة ناصريه المصلحين

* * *

واقضوا على الأوهام لا تَجِدَنَّ بينكم نصيرا
ومتى دعوتم للصلاح هديتم بشرًا كثيرا !

* * *

وتعلّموا أن الورى في شِرعة الهادي سواءْ
ما الفضل إلا بالتّقى والكل من طين وماءْ

* * *

أما التّقاليد القديمه فاتركوها أجمعا
أو لم تكُنْ للفتنةِ الـ ـعمياءِ فيكم مهيعا ؟

* * *

عادٌ جرت قِدْما يطول بـ ـها القويُّ على الضعيفْ
العصر يمقتها ، وليس يقـ ـرّها الدين الحَنيفْ !

(يرى ثلة منهم يتهامسون)

فيمَ تهامَسون ؟ وممَّ تعجبون ؟

(ينظر بعضهم الى بعض ويجيب احدهم) :

القـــوم لِلّـــذي قـد قلـتَ مُنكـرون !

آخر : يقولـون ترشَّـدت !

همام : وهـل بالرُّشـدِ مِـنْ لـوم ؟

فهـذا (قُطْـب الإرشـا د) ربّ الفضـل في القـوم !

أحدهم : نحن نعنى فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرتنا بالعِدا في (جاوةٍ) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سُؤتم ظنًا ، ومـا زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لِما كان من شَغْبٍ (بجاوا) أسفا

وأراها سُبّة تجعلنا في عيون الناس بين السُّخفا

غير أني لا أرى أعظم أسـ ـبابها إلا جمودَ الشُّرفا !

وقفوا في وجه سيْلٍ لو تولّـ ـوه بالحُسنى لأروى وشفى

فطغت أمواجه ، حتى لقد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكَّموا الأهواءَ ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصحفا

ونَسُوا أن المبادي لا ترى نُجْحها ما لم تواخ الشُّرفا

* * *

أنا لا أعرف (إرشاديَّةً) لاَ ولاَ (رابطةً) أو حنفا

إنما أعرف (إسلاميةً) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناسَ سواءً لا ترى فيهم ربًّا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهلُ علينا السُّدَفا

فغدا العُــرفُ لدينا مُنكــرًا وغــدا المنكرُ فينــا عُرُفــا

* * *

أنــا لا أعــرف إلاّ دعــوةً (لجمال الدين) شقّت غُلفا

تندب الناس إلى دين الهـدى مثلما كـان بعهـد المصطفـى

لا خرافـاتٌ وأوهـــامٌ ، ولا بـدَعٌ تحسـب فيـه زلفــا

تفتــح العلــم علـى أبوابــه في وجـوه المسـلمين الحنفـا

ليكونـوا سادة الدنيـا ــ كمـا وعـد الله ــ عليهـا خُلفـا

ولقــد أيّدهــا تلميـــذه « عبده » فيما دعـا أو ألّفـا

بـثّ روح الحــق في أتباعــه فغـدوا فينـا غيوثًـا وكُفـا

فلنبـثّ الـروح فينــا هــذه في إخــاءٍ ووفــاق ووفـــا

لنحوز الفـوز في الأخرى وفي هــذه الدنيا المقـام الأشرفــا

* * *

يا بــني الأحقــاف توبــوا للهـــدى

واتبعوا (الذكــر) ولــوذوا (بالسنن)

وانشــروا العرفـــان في قطركــــم

واستغلـــوه وأحيـــوا كل فـــنّ

وتناســــوا ما مضـــى وامتزجـــوا

وارحضـــوا الأحقـــاد عنكم والإحـــن

* * *

بينكم جنـــس ، وديــــن جامــع

ولســـان وعهـــود ووطـــــن

(ســـتار)

الفصـــــل الثانـــــي

المشهـــــد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل اصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعانقان ثم يجلسان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخـــي ! أيـــن تغيّبـــت ؟ فعهـــدي بـــك مـــن شـــهر
جـــرت في الربـــع أحـــداثٌ وظـــني بـــك لم تـــدرِ

محمد : ذهبـــتُ إلى زيـــارة شيـــــخ آهـــلِ الكشـــف والسـرّ

(وهنا يبتسم ابتسام السخرية)

عمـــود الديـــن في « قَيْـــدو نْ » شـــيخ الـــبر والبحـــر
ألم أخــــبرك إذ يمّمـــتُ مـــا يمّمـــتُ مـــن أمـــري ؟

همام : **(متنفسا الصعداء)**

بلـــى إنـــي ذكـــرتُ الآ نَ ! فـــاقبل يـــا أخـــي عـــذري
بلانـــي الله بـــالحبّ ! فعقلـــي ذاهـــل دهـــري
نهـــاري كلـــه فِكـــر ! وليلـــي مدمـــع يجـــري !
ولا ينفعـــني علمـــي ولا رأيـــي ولا فكـــري
ولا المشـــهور مـــن فضلـــي ولا المتيـــع مـــن شـــعري !

محمد : أخـــي ! لا تنـــس أن تصـــبر فـــالنّجح مـــع الصّـــبر
وخـــلّ اليـــأس ولتقـــرأ معـــي : إن مـــع العســـر

لمــا تــألمُ في جســمي ومــا تغتــمُ في صــدري !
ومــا يحملــه ظهــرك محمــول علــى ظهــري !
ألا تخــبرني مــاذا جــرى طيلــة ذا الشــهر ؟

همام : جرى .. ماذا جرى ؟ لا شيء غير الضيم والقهر !
« وليُّ الله » ذو الجبــو ة والأرديــة الخُضــر !
وذو المسواك في العِمّة قــد أربــى علــى الشــبر !
وربُّ السـبْحة الغــار قُ في التســبيح والذكــر !
بهــا يُذكــرُ في النــاس ولا يذكــرُ في الســرّ
ومــن يمشــي بعُكــازَين مــن أتباعــه الكُــثر !
يطــاطي رأســه لــلأر ض كالباحث عــن ســرّ !
تدنّى من (شــهاب) ســا عيّــا بــالختل والمكــر
أتــاه خاطبًــا (حُســنًا) لراشــي دينــه (بكــر)
ولم يــألُ اجتهــادًا عنــده في الغض من قــدري
رمــاني بصنــوف الزيــغ والبدعــة والكفــر
ولا تجهــل طــرقَ القــو م في الحيلــة والخــتر !

محمد : خفف عليك ! فإن أمرك هين والرأي يبصره ذوو الأحلام
أفقِدْ عــدوَّك روحــه بســلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام

همام (في شيء من العتب والموجدة)

أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
إن لم نكف عن الآثام نفوسنا فعــلام ننقــم ضلّةَ الأقــوام

محمد : لا يُخْطِ ظنك ما أردت ، فلم أرِدْ
إنّا نلوذ بسُبّة وملام
إنّا لنربأ أن نقارف خلة تزري بمبدئنا القويم السامي !
لكن أردت سقوط هذا المرتشي
بطريقة تكسوه ثوبَ الذام
ونرى مخازيه الأنام ليقلعوا عن هذه الأوثان والأصنام !
من كل قاسي القلب ينصب دينه لقضاء لذّات وجمع حطام
سأطيل محنته ، وأبطل سحره قسرًا وألصِقُ أنفه برغام
وسيُبصِرنَّ ذوو العقيدة فيه في
بردَيه أيَّ مدجّل أثّام !

همام : (وهو يبتسم ابتسامة الإعجاب والرضى)
بوركت يا خير الصحاب ! وبوركتْ
روح الشجاعة فيك والإقدام
لِتَنم جفوني ما سَهِرْتَ فإن أنم
وسهرتَ أنت فلستُ في النوام
محمد هات عن قَيْدو نَ ماذا كان من أمر ؟
وما شاهدتَ في الموسم من عُرف ومن نُكْر ؟
وهل وقّفتَ في الإنكا ر والتذكير والزجر ؟

محمد تَوافَى الناس أفواجًا إلى قيدونَ كالذَّرّ
فمن ساعية تمشي ومن راكبة الحُمُر
هناك الساحة الكبرى تحاكي ساحة الحشر
بها ما شئتَ من لهو ومن لغو ومن هَذْرِ

وقد غُصَّتْ بأشتات ... من الآساد والعُفر !
تبارت ثمَّ في الجِلْـ ... ـسية والأبراد والخُمر
وقد يقتُلن بالمِعصم أ ... و بالنظر السحري !!
من الظُّهر إلى العصر ... إلى مُنْبَلَج الفجر !
هناك الخسر في الدين ... وحسب الناس من خسر
ولا يربَح في تلك الـ ... ـزيارات سوى النَّحْر
وأما سادن القبة ... فهو الرابح المثري !
تُساق لداره الأكيا ... س من حَبٍّ ومِن تمر
و(للصندوق) ما يبا ... ع من ورْقٍ ومن تبر !

* * *

ولما حضر الوقت ... تداعَوْا كضحى النَّفر
وأمُّوا نحو قبر الشيـ ... ـخ بالطبل وبالزَّمر
يصيحون : وليَّ الله ... جئناك إلى القبر !
أتيناك لكي تحمِلَ ... عنَّا ثِقلَ الوِزْر
وكي تُسْبِلَ يا قطبُ ... علينا ضافيَ السِتر
وفي الأنفس حاجاتٌ ... بها يا سيّدي تدري !
أتيناك لكي تقضَى ... ونحظَى منك بالسَّتر

* * *

ولما وصلوا القبةَ ... داروا دَوْرة الحُمر
وأهوَتْ راحُ ذاك الجمـ ... ـعِ في التابوت بالنقر

فلا تسمع إلا ما .... يصيب السمع بالوقر
هناك الناسُ غيرُ النـ ـاس في الإخبات والذِكر !
فهذا خاضع شاكٍ وهذا دمعه يجري
وهذا ينشج النشجةَ تستعصي على الصدْر !
وهذا يُرعَدُ الرَّعدَ ةَ في أعضائه تسري !
وهذا ينذر النَّذرَ وهذا جاء بالنذر
وهذا صائح : يا سيِّـ ـدي عطفًا على فقري
على عجزي وإهمالي على ضعفي على ضري
وقد جُلِّلتِ القبَّة بالزينة والسِتر
وبَيْضاتٍ من البلّو ر عُلّقنَ على الجُدْر !
فمن حُمر إلى صُفر إلى زُرق إلى خُضر
ومصباح كبير الضوء مثل الكوكب الدرّي
وللتابوت معنىً مِنْ جلال العِتق والقدر[1]
قد اسودَّ من التقبيل في مختلف العُنْصر !
عليه ضبَبُ الفِضّـ ـة في أسودَ كالحِبر
فتبدو كثغور الزِّنْـ ـج إذ تضحك من أمر !
فتَمَّ الضم والتقبيـ ـل بالثغر وبالنحر
تلاقى فيه دَمْعا الشا ب والجارية البكر !

* * *

---

(١) العتق : القدم .

ولما سكن الجمعُ سكونَ الموج في البحر
تراءى الناس شيخًا ذا شقاشقَ فيهم هُدْرِ
ينادي : أيها الناس اهْنأوا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى بنيل الفضل والفخر
قصدتم باب ذي عطفٍ وذي جود وذي برّ
وإنّ الشيخَ لا يتركُ من زار بلا أجر !
عليكم بخلوص القصد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب والخِدمة والصَّبر
وإياكم وسوءَ الظن بالصوفيّة الغرّ
فأهلُ اللّه هم . جازُوا مناطَ النهي والأمر !
ملوكٌ لهم التصريف في البر وفي البحر

* * *

سمعنا أنّ في (حدرى) تباشيرَ من الكُفر ![1]
تصدّيٌ ناشئٍ غِرٍ بلاه اللّه من غرٍّ !
يُربّى الشعْر كالفُسّاق إذ يُعْنَوْنَ بالشّعر
تلقى من فنون العِلم ما زاد على القَدْر
فأغواه وأرداه وجاء النفع بالضّرّ
ومن شِقْوته استحلى حميمَ الأدب المزري
جريءُ القلب لا يعبأ بالتهديد والزجر

---

(١) تطلق حدرى على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يبث السم في الجاهـ ـل والعلاّمة الحِبْر
يسيء الظنَّ بالأقطا ب أهل المدد السّرّي !
له أتباعُ سوءٍ كلّـ ـهم يدعو إلى الشّرّ

* * *

هنا قمت وقد ضاق بي الواسع من صدري
وما باليت بالغوغا ء في عسكرها المجر
وقلت اسكت عجوز السو ء يا داعية النكر !
عدو الله والإصلا ح ! هل تهذي ولا تدري ؟
أتدعو الناس للنكر وتهجو داعيَ الخير
فصاح الشيخ : غولوه فذا من شيعة الغِيرّ
فلولا أن تسلّلت من الجمهور بالفرّ
لكانوا أعدموني مهـ ـجتي بالضرب والدّفر[1]

همام : (يضحك ويقوم إلى محمد ويضرب على كتفيه)

حماك الله من سوء وقاك الله من شَرّ
لقد قمتَ مقاماً لا يُوازي عُظْمَه شكري
ولا بد لذي الإصلا ح من عزم ومن صبر

* * *

---

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهد الثاني

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علوية : **(داخلة الغرفة)**

أيها الربع سلامٌ عليكم !

خديجة : **(ناهضة لاستقبالها)**

وعليكم ألفُ ألفِ سلام !

مرحبًا أهلاً بشخص كريم   مرحبًا بابنةِ قوم كرام

(تتصافحان فتجلسان)

علوية : يا صباح الخير !

خديجة : هذا صباحٌ   بلكِ طَلْقٌ ثغرُه في ابتسام

علوية : كيف حال الربع ؟

خديجة : في خير عيش   نسأل الرحمن حُسْنَ الدوام

علوية : أين حُسنٌ ؟ إن شوقي لحسن   مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظامي !

خديجة : هي في غرفتها

علوية : إئذني   أن أراها ..

خديجة : هي ذات احتشام

تستحي من زائرينا

(تقبل الخادم بعدة الشاي)

علوية : ومــــاذا ؟

خديجة : قصدُنا الأنسُ وطيبُ النّدام

علوية : قَسمًا أشرَبُ إلاّ إذا مــا نشرتْ حُسنٌ بساطَ المدام

خديجة : (مبتسمة)

أتجيدين احتيالاً كهذا ؟

علوية : إنما أمْلَى احتيالي هيامي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراء ها حسن تمشي على استحياء)

علوية : **(قائمة)**

مرحبًا بالبان يهتزُّ لينًا ! مرحبًا بالبدر بدر التمام !

(تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها وتجلس إلى عدة الشاي)

يوْه ! ما أجملها من فتاةٍ يوْه ! ما أصلحها لهُمام !

صلواتُ الله تغمر طه وحماها الله من عين رام

(يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

خديجة : **(في تجاهل واستغراب)**

مَن همام ؟

علوية : تسأليني عنه ؟ ليس يخفى البدرُ بين الأنام !

ذلك المُصْلِح زَيْنُ شباب القُطر ذو الهمةِ والإعتزام

ذلك الحالي بكل جميل ذلك العاطل من كل ذام

ذلك المشهور في كل قُطر بمزاياه الكِبارِ العِظام

والذي سارت بحُسنِ قوافيـ ـه إلى مصر وأقصى الشام

(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيرًا له)

لا تظنيني رسولَ هُمام أنا لا أعرف شخص همام
إنما آسفُ أنَّ كريمًا مِثلَه يُمنى بقوم لئام
هو يسقيهم كئوسَ حياةٍ وهمُ يسقونه كأس سام[1]

خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زَوَّروا من كلام

علوية : ما استطاعوا أن يَزُنُّوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام

خديجة : إن قلبي ليَودُّ هُمامًا ورضى بنتِ أقصى مرامي !

(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حُسن لهمام فتقاطع حديثها وتلتفت إلى حسن قائلة) :

أتحبين همامًا :

حسن : (في تلعثم وخجل)

ومَن لا يعـ .. ـشق الحُرَّ الحسيب العصامي
فَرَعَ الناسَ بعلم وخُلق وجهادٍ في الهدى واعتزام !

خديجة (عائدة لتتمة حديثها)

غير أني لا أطيق كلام النـ ـاس في زوج ابنتي بالملام
فلزوج البنت عندي محلٌّ في السويداء من القلب نام
خبّريني كيف أدفع عنه حين يُرمى بالفِرَى وأحامي
ليته خلّى زمام الورى فيـ ـهم ، فما كان بربِّ الزّمام
فيم يهتمُّ بأمر سواه وهو لمّا يَعْدُ سنَّ الغلام ؟

(١) السام : الموت

لـو تملـى بليـالي صبـاهُ فمضـت في غبطـة وسـلام !
لـو تخلى عـن شـؤون البرايـا وتولـى شـأنه باهتمـام !
وتعامـى عنهُـمُ !

علويـة : هـو يخشـى غضـب اللّـه لهـذا التّعـامي
فالذي يكتم علمَ الهدى يُلْـ ـجَمُ من نـار لظـىً بلجـام
إنمـا ضـرّ البرايـا تعـامي هـؤلاء العلمـاء الضخـام
يبصرون النورَ وهو مضـيء فيلـوذون بسـتر الظـلام !
ويرون النـاس في ليـل جهـل يتدجّـى أفقـه بالقتـام
يتراءمون علـى كـل قـبرٍ ومصـاب الديـن في ذا الـترامي
ويـرون المنكـرات عظامًـا فـتراهم عندهـا كالعظـام
ويقولـون : لنـا بـالألى قـد غبروا مـن قبلِ حسن ائتمـام
أنـرى نعـزو إليهـم ضـلالاً وهـم أمثلـةُ الاعتصـام ؟
مثـل هـذا عذرهـم وهـو عـذر سـوف لا يقبـل يـوم القيـام !

* * *

فخليـق بفتـى كهمـام أن نـرى غيرتـه في اضطـرام
إذ يـرى موطنـه في انحطـاط ويـرى أمتـه في انقسـام
دب فيهـا داءُ جهـل وخلـقٍ وعـداء قـاتلٍ وخِصـام
فانـبرى ينعشـهم مـن خمـول ومضـى يوقظهـم مـن منـام !

خديجة : فهبيني قـد رضيـت ، فمـن لي بشهابٍ وهـو صعـب الزمـام ؟
وهـو لا ينفـي ويثبت أمـرًا بسـوى رأي (الوليّ) الإمام !

جاءوه من قبل عشرين يومًا فنهاه عن قبول همام
ورجا تزويج حُسن (لبكرٍ) فيه اليمن وحسن الوئام
قال : إن المصطفى يتأذى من همام ، قلبه منه دام
وأولو البرزخ سوف يغيرو ن عليه عاجلاً بانتقام

علوية : (في غضب)

ذلك الدجّال لا ريب فيه أوليُّ الله عبد الحطام ؟؟
قد رشاه بالريالات بكرٌ والرُّشى للقطب غير حرام
أفؤاد المصطفى غير راض عن غيور عن هداه يحامي ؟!
وأولو البرزخ كيف يغيرو ن على حيٍّ وهم في الرجام ؟؟
معشرٌ ماتوا وصاروا إلى النيـ ـران ، أو صاروا لدار المُقام
تُرَّهاتٌ جعلوها من الديـ ـن ، تعالى ديننا المتسامي !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إني لمشتاقةٌ إليك

زهراء : واشوقي للقياك !

(تتعانقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكرًا لذكـ ـراك فقد جرّتك ذكراك

علوية : عندىَ بشرى لكم

زهراء : بشّرى علَّ المنى في طيٍّ بشراك

علوية	: أيـــن همـــــام ؟	
زهراء	: أهي بشـــرى له ؟	هاتـــي أطـــال ا الله محيـــاك !
	فإنـــه ثـــمّ علـــى حالـــةٍ	من الأسى يبكـي لها البـاكي !
علوية	: يبكـي لها البـاكي ؟ ألا ويحـه	ويح لـذاك الأسد الشـاكي !
زهراء	: هـاتي أبيني : مـا الـذى جئتنـا	بـــه ؟ رعـــاك ا الله مـــولاك
	لعـلّ أن تفثـأ عنـــه الأســى	بمنـاكِ ، مـــا أبـرك بمنـــاكِ !
علوية	: خديجـة لُيِّنـت مـــن قلبهـــا	على همــــــام
زهراء	:	هـــل جـــرى ذاك ؟
	كيـف وأيـــن ومتـــى ؟	
علوية	: زُرتُهـــــــــا	أمس وهـاكِ مـا جـرى هـاكِ

« تقص عليها حديث أمس كلـه مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

زهراء	: بشـــرته فـــانهملت عينـــه	مـــن فـرح مـــا كـــان لـــولاك
	وقـام مـن مضجعـه ناهضًـــا	يشـكر حـقّ الشـكر مسـعاك
علوية	: لم آت مـا أُشكر من أجلـه !	
زهراء	:	بمثـــل ذا اللطـــف عرفنـــاكِ
	إن همامًـــا قـــانع في الهـــوى	بكذبـــة مـــن فـــم أفـــاك !
	ويـــأخذ اللفظـــة فـــألاً لـــه	مـــن قصـةٍ يوردهـــا حـــاك !
	وقد يـرى الحليـم فيعِنـــدُه	نور رجـاء وسـط أحـــلاك

فكيف لا يبكي سرورًا وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خِلّه محمد ذو الخلق الزاكي
لازلتما عون أخي دائما والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولي الله) لتحقيق المهمة التي كلفه محمد إياها . يدخل على ولي اللّه في غرفة فخمة مزدانة بكل ما يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده مستندًا إلى مجموعة من الوسائد مادًا رجليه لرجل عنده يكبسهما ».

سالم : سيدي يا صاحب السر العظيم يا ولي الله يا غوث العديم
متّع اللّه بمحياك الورى إنما وجهك مصباحُ العتيم
الولي : مرحبًا بالخادم البرّ الذي خصه الرحمن بالقلب السليم
حَسّن الظن بأهل السرّ يا خادمي تحظ بجنات النعيم
آه - لو يعرفني هذا الورى لأتوني من قصيّات التخوم
أنا جيلانيٌّ هذا العصر ، قد وطئت رجلاي أعناق النجوم
خضت بحرًا وقف الخلق على ساحليه في ذهول ووجوم -
من رآني أو رأى من راءني فهو محظور على نار الجحيم
أهل هذا القطر ما دمت به في رخاءٍ وهناءٍ مستديم
يولد الطفل على عيني ، كما يرحل الراحل أو يغني المقيم
أسعد الناس بنا أحسنهم نيةً فينا فذاك المستقيم

وأشدُّ الناس خسرًا من بنا ساء ظنًا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظّى مهما يكنْ كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشئٌ صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أنّ السورى في ضلةٍ وهو يمشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له من أولى الباطن في الغي يهيم!!

سالم : سيدي علّ همامًا قصدكم ذلك المفتون بالرأي السقيم

الولي : نحن لم نعن سواه

سالم : أنا لي في علاج الناس أسلوب حكيم
ربما اسطعتم به إن شئتم أن تردوه عن الغيّ الذميم

الولي : أنت لا تستطيع أن ترجعه للهدى أو تحييَ العظم الرميم
إنَّ هذا محال !

سالم : إنني بالذي يُغري همامًا لعليم !
إنني أعرف مثوى ضعفه فسأرميه بنبلي في الصميم
إنّه يهوى فتاةً لشبا بِ هوى قيس لليلي في القديم
هو في غير الهوى ضرغامة وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم
وشبابٌ خاتمٌ في كفّكم ليس يعصى لكم الأمر الكريم
لو سعيتم لهمامٍ عنده فضمنّا لكم أن يستقيم !

الولي : (في غضب وهياج)
ليت شعري كيف أقضي حاجة لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره ! وسقاه الله في النار الحميم !
كم عناني أمره من ماردٍ ! ولكم عذّب قلبي بالهموم !

والـذي نفسـيَ فـي قبضتــه   وبـه السَّبْع السماوات تقـوم !
نحـن لـولا أنَّ في غضبتنـا   حِطةً من رتبة (القطب) الحليـم
لضربْنـا ضربـةً تنسِـفه   وتركنـاهُ كمـذْروً الهشيـم
وأصـابتْ بيتـه نائبـةٌ   تذهل المرضع عن رعي الفطيـم
سالم : إنما نقضـي علـى أنفاسـه   إن جعلنـاه إليكـم يستـنيم
إنَّ هـذا لهـوَ الـرأي الـذي   يحفظ النـاس مـن الـداء الوخيم
الولي : أتـراه يرعـوي عـن غيّـهِ   إن أعنّـاه علـى نيـل المـروم ؟
سالم : ذاك مـا لا شـكٌّ فيـه ، وأنـا   لكـمْ بـالكفّ عـنْ ذاك زعيـم
الولي : خـادمي ! رأيـك هـذا صـائب   فهمـام خطـرٌ فينـا عظيـم !
غـير أنَّ الأمـر قـد فـات ولم   يبق في الرأي مجـال للحكيـم
قـد خطبناهـا (لبكـر) قبلـه   وحبانـا منـه بالمـال الجمـوم
فرميناه (بصندوق القـرى) لغريـب أو فقـير أو يتيـم !
(يسكت قليلاً ثم يقول)
كـم همـامٌ دافـعٌ مـن مالـه ؟
سالم : ضعف بكر أيها المولى الكريم
الولي : ذا إذًا ألـف ريـال ! هاتـه   قم ! وثق أنّا سنقضي مـا يروم
إن بكـرًا ذو غنـًى ، لكنـه   يابس الكفّ شحيحٌ ولئيـم !
سـيرى عاقبـة البُخْـل غـدًا   عندما يُخطِئه الوجـه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله من الغد)

سالم : قد فعلنا كلَّ شيءٍ وظفِرْنا بهمام
وارتضى ما قد شرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرورٌ بهذا شاكر سعي الإمام
تاركٌ دعوته النُّكْراء من أجْل الغرام

الولي آخذ أن ليس يؤذيكم بفعلٍ أو كلام

سالم : أينَ ما أعطاك ؟ هل أقبلتَ بالمال اللزام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « حوا » بألف بالتّمام
(يمد يده للتسلم)
هاته ليس لِجَيْبي بل لصندوق المقام !!

* * *

المشهد الخامس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جاءني الليلة آتٍ في المنام صائحا يهتف حسنٌ لهمام

إن بكرًا فسدت نيته في توليها بحبٍ واحترام

شهاب : إنه يا سيدي مبتدع

الولي : إنه قد تاب عن هذا الإثام

شهاب : (في استغراب)

ومتى تاب ؟

الولي : أتاني نادمًا أمس مما بثّ في الناس السمام

إذ دعونا الله أن يهديه سمح الله بإدراك المرام

شهاب : (في خضوع وتسليم)

ليكن ما شئتم يا سيدي نحن نرضي رأي مولانا الإمام

* * *

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء	: صديقتي ! إنَّ قلبي	مما فعلتم لموجع
	أشتاقكم غير أني	من وصلكم أتمنَّع
	فإنَّ جرحي منكم	فيه الأسا[1] ليس ينفع
	ولو أطعت صوابيَ	ما جئتكم أتسكع
خديجة	: زهراء : لا بأس بالعتـ	ـب فهو للودّ أجمَع
	ما ساءَ قلبك مني ؟	قولي لعلي أرجع !
	فربما خبَّ واشٍ	فينا إلى الدحس يهرع[2]
	وذا زمانٌ لئيمٌ	فيه المودات تقطع
زهراء	: إن همامًا شقيقي	له بقلبي موضع
	فنيلكم منه نيلٌ	مني بغير تورُّع
خديجة	: زهراء ! أسرفت في تهـ	ـمَتي ، فبَعْضَ التسرُّع
	فما ذكرت همامًا	إلا بما عنه يسمع
	من الخروج على النـ	ـاس في تقاليد تتبع
	قصصت ذاك لعصماءَ	من بنات المشفع
	لأنها لهمام	رأيتها تتشفع
	قامت تدافع عنه	بحجج ليس تدفع

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

وإن قلبي ليهوى حبيب (حسن) المشيع

زهراء إذن فماذا التأبي منكم وهذا التمنع ؟

إلا رحمتم فتًى من هجرانكم يتوجع

تكاد أحشاؤه من نشيجه تتقطع

خديجة : إن الإبا من شهاب وما لما شاء مدفع

لأن رأي شهاب للعارف القطب يرجع

زهراء : (في غضب)

القطبُ لِصٌّ عن الإرتشاء لا يتورّع

يشرى ويبتاع « حُسنًا » خلف المطامع يهبع

كأنها سلعة في السُّوق تحطّ وترفع

ألمْ يبعها « لبكرٍ » ذاك البغيض المُدفع ؟

كأن سود الدياجي بوجهه تتلفع

ثم ارتجي من همام همام ألفًا لكي يتشفع

وربما باعها في غدٍ لزيد ومرتع

والناس ظنّوا أباكم تسلم المال أجمع

إن الوليّ عن السوء عندهم يترفع !

أبوكم ليس يدري مما عن الناس يسمع

ولو درى لتبرّا من الوليّ المرقع

خديجة : (وهي تتألم) :

أقد تُحَدّثَ عنا بذاك في كل مجمع

يا ويلتاه ! أتوتي من حيث لا نتوقع ؟

إنا أناسٌ على عزّ نا نحامي وندفع

أعراضنـــا هــي أغلـــى　　مـــا في الحيـــاة وأمنـــع
لـو كـــان يـدري شـهابٌ　　لـمـــا تهنّـــا بمضجـــع
وسوف يدري عسى عـن　　هـــذا المدجـــل يُقلـــع

(تتنهد وتستعبر)

يـا ليـــت (سـعدًا) لدينـــا　　في أمرنـــا اليـــوم يقطـــع
لـمـــا ألانـــا اجتهـــادًا　　في أخـــذ مـــا هـــو أنفـــع
لكنـــه غـــاب عنّـــا　　تســـع ســـنين وأربـــع
في أرض (جـــاوا) الـــتي　　تـــأكل الرّجـــال وتبلـــع
راحَ ليجمـــع مـــالاً　　لنـــا بـــه نتمتـــع
يـا بئـس مـا جمعـت كفُّـــ　　ـــه ومـا هـو يجمـع !!
مـــاذا يفيـــد الغـــني مـــن　　يخســـر أهـــلاً ومربـــع
تزوجـــت « مزفـــةٌ » عُـــرْ　　ســـها بـــه لم يُمَتَّـــع
تُســـأل : أيـــن أبوهـــا ؟　　فـــلا تُجيـــب ، وتدمـــع
وهـــذه أختهـــا أوشـــ　　ـــكت تـــزف وتخلـــع
فواشـــقاءَ حيـــاةٍ　　فيهـــا الفـــؤاد مـــوزَّع

*　*　*

المشهد السابع

(بين سالم وشهاب) :

سالم : مـــالي أراك كئيبًـــا ؟ مُتَقَمِّـــا يـــا شـــهابُ ؟
فمـــا أصـــابكَ ؟ قـــل لي

شهاب : إنـــي بخطـــبٍ مُصـــابُ !
ذاك الـــذي كـــان يدعـــي بذكـــره ويُحـــابُ
ومَـــنْ بغرتـــه كـــان يُسْـــتَدَرُّ السَّـــحاب !
مـــن كنـــت أبصِـــرُ أخطـــا ءَه وهُـــنَّ صـــوابُ
قـــام يُلـــوِّثُ عرضـــي بمـــا بـــه النَّـــاس عـــابُوا
فقيـــل إنـــي طَمُـــوع بالمـــال وهـــو كِـــذَّاب
لـــولا المُدَجِّـــلُ هـــذا لمـــا علانـــي عـــابُ
لله درُّ هُمـــــــام فهـــو الحكيـــم العجـــاب
إذ قـــال : أمثـــال هـــذا في المتقـــين ذِئـــابُ !!
وإنمـــا ســـترتهم عـــن العيـــون الثيـــاب !
فمـــا نـــراه شـــرابا مـــا هـــو إلا ســـراب

سالم : أنـــا الـــذي ســـلّمته مـــالَ هُمـــامِ بيـــدي
فـــلا تكـــن مـــن أمـــره في شـــكّ أو تـــردُّد
إن هُمامًـــا للعصـــا مـــيُّ الكريـــم المحتـــد
مهمـــا يقـــل فإنـــه زيـــنُ شـــباب البلـــد
رآك لا تصغـــــــي إلى غـــير كـــلام (الســـيد)

ولم يجـــــــد إلا وليّ | الله خــــيرَ مســـــعد
فلــم يــدع رأي صديـــــ | ــقه الفتــى « محمـــد »
ولم يكـــن ذاك الـــذي | يهـــدي الـــورى بمهتـــد
مَـدّ إلى الدرهـــم جيـــ | ــدَ ذِلّـــةٍ في صَيـــدِ !!
وكـــان مـــا كـــان فـــلا | تغضـــب ولا تفنّـــد
أنـــت عليـــك الغُـــرم | والغنـــم لـــرب المـــدد !
هـــذا جـــزا تـــارك رأيـــ | ــه لـــرأي أحـــد !!

* * *

المشهـــد الثامـــن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عـــم مـــا الـــذي جـــرى ؟ | ردَدتَ مـــنيَ اليـــــدا
ألســـت قـــد قبلتـــني | فمـــا عـــدا ممـــا بـــدا ؟

شهاب : (يتجلد ويخفي غضبه)
حظّـك يـا بكـر الـــذي | حـــلاً عنـــك المـــوردا
فـــاطلبْ ســـواها تلـــ | ـــقهنَّ كالرمـــال عـــددا

بكر : (في وقاحة)
وأيـــن أمـــوال الـــتي | أنفقـــت فيهـــا بـــددا ؟

شهاب : لمـــن دفعتهـــا ؟!

بكر : لمـــــوْ | لانـــا الـــوليّ المقتـــدى !

شهاب : (في سخرية)

إذن فخذنهــــا منـــــه لا تطلـــــب ســـــواه أحـــــدا

بكر : (معترضًا)

أعطيتـــــــه لأنــــــــه كـــــان لكـــــم معتمــــــدا

شهاب : (في غضب)

خسئتَ يـــا نـــذلُ فقــم وخـــلِّ عنـــك اللـــددا !

أليـــــس فينـــــا حاكـــمٌ يحـــكم هـــذي البـلدا ؟

فاشكُ إليـــه مـــن علـــى مالك ـ إن شئتَ ـ اعتدى !

بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمـــــالي كلُّــــه

.. أكلــــــــه .. وازدردا ..

إذن ... فلـــم يعطـكَ مـــن مـــاليَ ... شـــيئًا أبـــدا .. !

أمـا أكتــفى بمـــا ارتشــــا ه نصفَ ألـــفٍ عـــددا ؟

يـــا ويلتـــا ! واحســـرتا ! واحزَنـــا ..! واكمـــــدا !

لأرفعـــــــنَّ أمـــــــرَه إلى الأمـــير « أمجــــدا »

أفضحـــه عنـد الـــورى ..!

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصـــرتَ الهـــدى !

بكر : (يتنهد)

فليمـــض مـــالي لظهـــر ر ســـيئاته فِـــدًى !!

* * *

المشهد التاسع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتدري يا همامُ لأيّ أمر دعوتك لي ؟

همام : لخير يا أميري ؟

الأمير : ألم تعلم بما احترمته كفا ولي الله من إثم كبير ؟

همام : بلى هذا حديث قد فشا في حمانا في الكبير وفي الصغير

الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟

همام : أرى أن تَحْبِسوا الجاني وأنْ لا

تمسُّوه بسوء أو نكير

فمطلق حبسه كاف ـ أراه ـ لردع سواه من أهل الشرور

الأمير : ولكن والذي يخشى علينا ـ إذا عاقبته ـ سوءَ المصير

يُحاذِر دعوةً منهُ علينا فتُلحِقُنا بأصحاب القبور

همام : أمير ما عهدتكَ غير حرٍّ طليق الفكر متقد الشعور

وحسبك ما قرأت عليك طردًا

لأوهام توسوس في الصُّدور

أتعرفُ إثمهُ وتخاف منه ؟

أتقبل دعوة العاصي الكفور ؟؟

كذاك الوهم تُشربه نفوس فتشهد ما تُخيَّل من أمور

وقل لأبيك ذا بكرٌ شكاه وهتك ما عليه من ستور

فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

فإن تحبسه جئت بـه دليـلا   يسجِّل عجز أقطاب الغـرور
فليس أذاه مقصـودًا ولكـنْ   ليبْطل سـحرهُ بيـد الأمـير !
الأمير : لقـد قـررت هـذا الـرأي قبـلاً   فبورك في ذكـائك مـن مشـير
وإن الدّجل أبغض كـل شـيءٍ   على الدُّنيا يضيق بـه ضمـيري

* * *

المشهـد العاشـر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمـدُ أنـتَ الجـريءُ الفـؤاد   وأنـت صديـق هُمـامَ الـوفي
فلـو كـان مـن ربِّـهِ مُرسـلا   لكنـتَ حواريَّــه المقتفـي
وتعلـم مـا كنـت أوذِي هُمـا   مـا بـه غيرَ هـادٍ ولا منصـف
أتـابعُ في أمـره مُفسـدًا   يبيـع ويبتـاع بـالمصحف !
وإنـي علـى مـا مضـى نـادمٌ   وأنت بإصلاح أمري حفـي[1]
محمد : ألا مرحبًـا بالسَّـليم الفـؤاد   وبالطَّـاهر السيرة الأشـرف
بعتم حبيْبة خير الرِّجال بمن لا   بصهْـر هُمـام الوديـع الصَّفـي
بمن لا يُقِـرُّ علـى المنكـرات   وليـس يُطـاطئُ للمِعْسَـف[2]
همـامٌ يُحبِّـكَ مهمـا فعلـتَ   بـه عـن ولائـك لا ينتفـي
يـراكَ أبـاهُ فمهمـا قسَـا   عليـه لتأديبـهِ يعطِـف

---

(١) عارف وخبير .   (٢) هو الظالم الشديد العسف .

(يبتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فلله ما كان أنقى همًا ... مًا وأشرفَ أخلاقهُ الساميه !
أضارسُه ثم يبقى ودودًا ... عليَّ طويَّته صافيه ؟
محمد : بقدر نبالةِ أخلاقِهِ ... يحبُّ حبيبتَهُ الغاليه !
تمادي به حبُّها فهو لا ... يقِرُّ القرار له ثانيه !
يبيت يناجي نجوم السما ... ء ويخضع أدمعه العاصيه !
ويجلس في بيتهِ للطَّعا ... م إذا ما أجاب له داعيه !
فيُنهلُه الحبُّ عما لديه ... حتى لتنكفِئُ الآنيه !!
وإني لأخشى عليه ... إذا تماديتم ... الضربة القاضيه
هنالك نخسر زَيْنَ الشبا ... ب ونحرَم أنفاسَه العاليه !
ويسألكَ الله عن مهجة ... قضت بك مصلحة هاديه

شهاب : (وهو يبكي)

كفى يا محمد ! إني أتيت ... لتكفير أعماليَ الخاطيه
فلو كان ذنبُ هُمام فحسب ... عليَّ لخفَّ على باليه
أزوِّجُه اليوم من حسنِهِ ... فيغفر زلاّتي الماضيه
ولكنني قد عصيت الإله ... وعرّضت نفسيَ للهاويه
لقد غرَّني وعد ذاك الوليّ ... بمحو خطيئاتيَ الخاليه
وبشَّرني أنه قد رأى ... قصوريَ في الجنة العاليه
فلم أتزوَّدْ لدار البقاء ... اتّكالاً على الزُّلفِ الواهيه
فأيقنت ذا اليومَ أن ليس ينـ ... ـفعني غير أعماليَ الزاكيه
وأن ليس يمحو خطاياي ... غير النصوح من التوبة الماحيه
نصائح كان ينادي بها ... همامٌ فنرمي بها ناحيه
فها قد بدت لجميع الأنام ... مخازي مُدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليكَ دموعك هـ ـذي لتطهير أدرانها كافيه
فلا تبتئسْ ، إن ربًا هـداكَ ليبغي بكَ الخيرَ في الثانيه

« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلا »

وأمرُ هُمام ؟؟

شهاب : وماذا يريد همـ ـامٌ وليس لحُسْنٍ سواه
هي اليومَ بينَ يديه وما مُناي من الدّهر إلا رضاهْ
ولكن. حديث (الرُّشى[1]) المسـ ـتفيض شوّش أفكار أمّ الفتاه
فما زال يلهَج أهل الحِمى بأن (الوليّ) همامٌ رشاه
وأن شهابًا تسلّم أموالَ بكرٍ ولم يُعطه مُبتغاه
فقالت نؤخّر تزويجَ حُسـ ـنٍ لنقطع ألسن هذي الوشاه
فما كان لِلمال إيثارُنا ولكن لعلمٍ وفضلٍ وجاه
فأوص صديقك أن يطمئنّ إلى الصبر حينًا ليلقى مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو ل همامٌ إذا رُعته بالخبر ؟!
أقدّم باقة زهر له وأطوى له الصّلّ بين الزهر
فلو رُحت تنصَحُها بالعدو ل عن رأيها ! علها تأتمر !
علامَ تبالي كلام الطّغام وما ينطقونَ بغير الهذَر ؟
وأعيان (سيورنَ) تدري الـ ـحقيقَ وبعد غدٍ يظهر المستتر
سيُحبس هذا الوليُّ الشقي وتفضح سوءاته والعرر

(١) جمع رشوة .

شهاب : لعلكَ تجهل أنّ النساءَ إذا قلن شيئًا فهُن القدَر
ولا يَرعوين عن الرأي لو وضَعْتَ بأيمانِهنّ القمر
فكم قد سعيت وكم قد نصحت ولكن كأنّي نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقامَ هنا ،

شهاب : ليرحْ نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجَـر (جاوَةَ) أو للبلاد الأخر
وبعدَ ثلاثين شهرًا يعو د ، وسوفَ تمرُّ كلمح البصر
هنالك تبلغ سِنَّ الزّواج (حُسْنٌ) وتنضج نضج الثمر
وربَّمَا عاد (سعدٌ) إلينا فيزهو به عُرْسنا إن حضر

(ستار)

الفصـــــل الثالـــث

المشهــــــد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء : (في جزع)

أهمــــامُ خــبّرني بـــــودّك لي مـــــالي أراك تنضّـــد الكتبـــا ؟

مـاذا اعتزمتَ ألأنـــت تاركنـــا للحادثـــات تسـومنا الكربـــا ؟

همام : (في حنو)

لا يـا أخيَّـــة ! أجملـي جزعـــا لا ينس قلـب المؤمـن الربـــا

سفري لطـول إقـامتي سـببٌ ولـرُبَّ بُعـدٍ أعقـب القُربـــا

(يتغير وجهه)

إني أخـــافُ إذا مكثـتُ هنـــا أن لا أطيقَ فـأقضيَ النّحبـــا !

(يخالط صوته البكاء)

أيسرُّ قلبـك أن أموت أســـىً في الرّبـع إذ تبكيــنني ندْبـــا ؟

أو ما رأيـتِ القوم قـد قطعـوا صوتَ الحيـاة وكـان قـد لبيّ !

حفلوا بسمعتهم ـ كما زعموا ـ لكنّهـــم لم يحفِلـــوا الصَّبـــا

ليمُـت شـهيدًا مـن يشـاءُ ولا يتوهمـــوا في عِرضهـــم ثلْبـــا

آه ! أهـــذا كلُّ ما أ تمنـــى ؟ ولقد وهبتُ الـروحَ والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسنُ ! معذرةً فأهلك نا ... هم الملامُ وما جنَوْا ذنْبا
حاولتُ عَتبهمُ بَتَوْدةٍ ... لكنني لم أُحسنِ العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ... ترضَ رأيتُ عذابها عذبا !
وإذا غضبت غضبت في بصري ... فأرى الخليقة كلها غضبى !

(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليني لأرحلَ عن ... هذي الديار فأسلوَ الحبّا
فلقد لقيتُ به دواهي لو ... رُعْنَ الجبالَ تركنها تربا
هيهاتَ هيهاتَ السُّلوُّ ! ويا ... ليت السلوَّ يُباع أو يُجبى !
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى ... آتٍ فسدَّل دونه الحجبا !
أو كلما ابتسم الربيع لنا ... جرت الدبور وهبَّت النكبا ؟

زهراء : **(آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)**

عفواً هُمام فليسَ قصـ ... ـدي أن أهيجك يا ابن أمي !
لكن شجاني أن تفا ... رقنا وتركب ظهر يمّ
إنَّ البلاد لسوف تفـ ... ـقد فيك نجمًا أيّ نجم
نجمٌ يفيض هدايةً ... وسناهُ من خلق وعِلم
تبًّا للدهر دأبه ... يَرمي أفاضله فيُصمي
أيُصَدُّ مثلك عن مطا ... لبه ويُمتَع كل فدْم ؟
أهمام إن كنت اعتزمتَ ... على الرحيل فخيرَ عزم
إذهب وعُدْ عما قريـ ... ـب بين عافيةٍ وغُنْم
سيكون ربك حافظًا ... لك في الفلاة وفي الخضم
ولسوف تدرك ما تؤمّـ ... ـلُ ما ظللت إليه ترمي
ثقتي بحسن أن تعيـ ... ـدك خففت حزني وهمي

همام : (في حزن وأسف)

لكــنَّ حُســنًا لم تشــا تنويــر خطــي الملهــمَ
كــم قــد كتبــتُ لهــا الرســا ئــل بــين منثــور ونظــم
فتصــدّ عنهــا لا تجيــب كأنهــا لا تعــرف اسمــي !!
وطلبــتُ منديــلاً لهــا ليكــون في الظلمــات نجمــى
ويكــون أنســي في البعــا د يكفُّ مــن حزنــي وغمــي
آوي إليــه إذا نــزا قلــبي بضــم أو بلثــم !
ولقــد أتــاني ردُّهــا لكــن تعــثر فيــه فهمــي
وإليكِــهِ فاتليــه ثــمّ اقضــي على حُســن بحكــم

(يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالــة :

حبيبــة قلبــي علّليــني بتنويــلِ
أقَضِّ زمانــي في رجــاء وتأميلِ
بعثــتُ إليكِ الكتب تترى ، فلــم أفز
ببعضِ جــوابٍ منكِ يا غاية السـول
كأني لم أحمــل هــواكِ ، ولم يكــن
لقاؤك قصــدي في الحياة ومأمــولي !!
وهــذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
إلى عــالمٍ من رقعــة الأرض مجهــول
أقضّي به دهــرًا قضيتــم به علــى
حُشاشــة صــبّ عاثِــر الجدّ مخذول

فجــــودي بما أمّلــتُ منكِ وأجملــي
وداعــاً لمفتــون بحُبــكِ متبــول
وإني لراضٍ منكِ يا حُسْــنُ باللّفــا
بقطعــةِ ثــوب أو بشقّــةِ منديل ،
لعلــي أستطيــع ابْترادًا من الجــوى
بضمّــي إيّاهُ لصــدري وتقبيلــي ؟

همــام

الــــرد

جوابُكَ عنــدي ما تظنُّ ، فلا تــرم
بكُتْبِكَ إحراجــي فإنك ذو علــم
وإني فتــاةٌ ليس أمــري في يــدي
فإن شئتَ فاطلــب ما تؤمّل من أمــي

حُسن

زهراء : (تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)

همــام أمّــا جــوابُ حُسْــنٍ ... فإنـــه أبلـــغُ الجـــواب
دلَّ علــى الحــبِّ والتفــاني ... فيــكَ إلى عِفّــةِ الجنــاب
وإنهــا إن تحــبَّ يومــاً ... ففي حمى الصّون والحجاب
إن كتابًــا يــأتيكَ منهــا ... رســولُ آمــالِكَ العِــذاب
ما تبتغــي أنتَ فــوق هــذا ... يأتيك من غــادة كعــاب ؟
لــولا هــوًى صــادقٌ لديهــا ... لم تسر منهــا نصف كتــاب
وســوف آتيــك بالذي رمْــ ... ــتَهُ فــلا تبــقَ في اكتئاب

المشهـــد الثانـي

(همام على حماره في طريقه إلى الساحل (المكــلا) بعـد أن شيعه إخوانه وأصدقاؤه . أمامه دليله البدري عامر يقـود جملا له يحمل زادهما)

همام : رويدًا رويـدًا حِمَـار البعـادِ فـإنك تبعدُ بي عن حبيـبي !

ولم يك خطـوُكَ فـوق الـثرى ولكنه فـوق قلـبي الكئيـب !

أراك كنعشٍ بجسـمي يسـيرُ ولكـن إلى غـير قـبرٍ قريـب !!

فيا بعـد (سَيْوون) عـني؟ ويـا دُنُوّكِ (حاوةُ) من ذي السُّهوب!

عليهـا السـلام سـلامُ الـودا ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب

سلام على حسن بين العذارى سلام على قلبهـا في القلـوب !

سلام على دارهـا في الديـار سلام على دربها في الدروب ؟

سلام علـى أهلهـا الطيبين مـن كـلِّ بَـرٍّ كريـمٍ نجيـب

سـلام علـى وَطـنٍ طـاهر تضوّع منهـا بمسـكٍ وطيـب

سلام سلام على ساعدي الـ أشـدِّ وصِنْوى المطيع الأديـب

سلام على خـيرة الأصدقـا ءِ محمـدٍ الألمعـيِّ الأريـب

سلام على لطـف زهـراء إذ تفرّج همي ، وإذ تعتـني بي !

(همام في بلاد الأحقاف)

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديل أنكَ مُؤنسي ... وأنك عندي للكريم المحبب
وما ضرَّ من ينأى ـ وأنت بكفه ... أنيس نواه ـ أنه يتغرّب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هذي السهول فقد ... كانت مزارع ما لها حد
كانت جنانا لا فُجاءَ بها ... ـ غير الممر لراكب ـ تبدو[1]
من عدوة الوادي القصيّ إلى الـ ... أهضام من حَذْراه تمتدُّ
عمَر الجُدُودُ بها مواطنهم ... فغنّوا وعيشهم بها رغد
ما بعد عام الألف ما قدُمَتْ ... منه العهود وما بها بُعْدُ
لما تجفّ بها مواطيءُ أقـ ... ـدام الألى اشتغلوا بها بعد
البُرُّ والسمراءُ ، والذُرّة الـ ... ـبيضاءُ والأفواهُ والرندُ !
والنخل والأعناب حافلةً ... بقطوفهن كأنها شهد !
والسِّدر يفرش في الفضا بسطا ... من سُندسٍ خضرا فينسد
فهنالك النعماء تخطر ما ... بين الحقول يزينها البرد
لله عيشهم فلا كَدرٌ ... يعتاق صفوهم ولا جهد
دَعْ عهدها العاديَّ من قِدَمٍ ... فلقد تقادم ذلك العهد
إذ كانت الأنهارُ جارية ... تحت الجنان كأنها الخلد !

---

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها خالية من الأشجار والزروع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلك الحقائق لا يُصدقها	قوم عيون قلوبهم رمد
تلكم بقاياها تدُلُّ على	ما كان ـ سَدٌّ دُونه سد !
يحتاز ماءَ القطر يقسمه	بين الأراضي حُكمها القصد
فنمت مزارعها فما فَتِئَتْ	فيها الغيوث تروح أو تغدو
هي سُنَّةُ الباري فما كثر الـ	ـأشجار فالأمطار تشتد

* * *

قف سائل الآثار كيف ذوت	تلك الخمائل فهي ذي جُرد
تخبرك إن نطقت : وربّتما	نطق الجماد وقوله الرشد
في بطنِ أرضٍ أنست واطئها	همم تصول فليس ترتد
تصبو إلى العمل المفيد ترى	أن السعادة ركنُها الجِدُّ
فتلاهُمُ خَلَفٌ كأنهم	لا ساعدٌ لهم ولا زند !
فَسَبيلُنا ترديدنا أبداً :	نعم الجدود وبئست الولد !!

* * *

المشهـــد الثالـــث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت ـ وقد كادت الشمس تغرب ـ إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحَثحِث جملك   لا يُظلم اللّيلُ ويشــتدَّ الحلــك
ونحــنُ لــمَّا نــأت بعدُ منزلك   أبلغــكَ الله بخـــيرٍ مأمــلك
ولا أصــابَ الحــبُّ يومــًا مقتــلك

عامر : هُمام يا خير سَراة العُـرب   لا تذكـر الحـبّ لِعـانٍ صـبٍّ
متـى دعـا داعي الهوى يُلبّ   إني أحـسُّ ضرَمــًا في القلب
يدفــع في صَدري ويكـــوي جنبي !!

همام : با لله هل تُعرف معنى الحب؟   ومـا بـه مـن فـرَح وكـرب
وهل سَعِــدْت مرة بالقــرب   أم أنت مثلــي مستطــار اللبّ
لـمّــا يَفُــزْ من حوضــه بشـــرب

عامر : أنـتَ إذن يـا صـاحبي سـعيدُ   وإنّـني وحـدي أنـا المعمـود
من بعــد ما طابَ ليَ الورود   حَلانـي عن حَوْضِهـا الصُّدود
فليـسَ ليَ صَـبرٌ ولا مَجلــود

همام : أنــت السَّعيد وأنـا المنكــودُ   فـالوَصل مهمـا قـلّ فهـو عيـدُ
تُشفــى به من دائها الكبــود   لكنَّ هجــري الأبـدُ الأبيـــدُ

ليتَ الزَّمان لي بـه يجـود وبعـدَه تطويـني اللَّحـود !!

عامر : يَظهر لي من بعض ما أراكا أنـك تهواها كمـا تهواكـا

يا ليت حظي من وجودي ذاكا إذن لكنت حاسدًا مـولاكا

وما شكـوت مِثـلَ مُشـتكاكا

همام : عامر ممـا زادَنـي ارتباكـا أنَّا اشتركنا في الهوى اشتراكا

أشكو نواها وهي تشكو ذاكا فيستهـلُّ مَدمعـي اشتباكا

لمـا بَلاهـا وبَـلا أخـاكا

عامر : (في حـزن)

لا تحسَبَنَّ هَجرها هجرَ شـرَف لفرط غنـج أو دلال أو طَـرف

لكنه أشنَـع ذنب يُقـترف تَتركـني زوجًا إلى غيري تزف

وصـكُّ عقـدِها معـي لما يجـفّ

همام : ربّاه في كـل مكـانٍ ذو شغف يُسلمه الحبُّ إلى مهوى التَّلف

رحماك بالعشاق من حور الهيف ما غار من غور و لم يَعل شرف

إلا وفيـه مغـرَم القلب دنِـفٌ

* * *

المشهـــد الرابـــع

(يصلان إلى حي عامر في الريدةِ (بلاد البدو) . يذهب عامر لسقي جمله وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهيـة : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهــلا بمــن وافــى   دار أخـــي عـــامر

إنــزل علــى الرحــب   في المـــنزل العـــامر

وأمــر بمــا شئـــت   فإنـــــك الآمـــــر

(تهيئ أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بـــورك يـــا أخـــتُ   فيـــكِ وفي عـــامر

ســـرّيتما عـــنيَ   بلبـــــاليَ الثـــائر

سماحـــةُ البـــادي   يجهلهـــا الحـــاضر

ناهية : **(منادية)**

هلــمّ يــا سُــعْدَى   هلـــمّ يـــا لُبْنَـــى !

لنلـــمّ حيّـــين   ضيـــف أخيكَنـــا

(تدخل فتاتان جميلتان متلثمتان وتصافحان هماما . ينظر إلى إحداهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : **(لهمام)**

إنـي أرى عينيـك عيـني شـاعر   قـل مـا تشـاءُ ويـك لا تحـاذر

لا بأس عنـــدنا بلحـــظِ الناظر   إنّا نـــرى العفّـــة في الضمائـــر

همام : رأيـــت بـــدرًا نصفـــه في السحب والنصـف مبـين
هــبي عليهـا يـا نسـيم واكشـفي ذاك الجبـين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لـو أزاحـت لثامهـا لـك مـا أنـت فـاعل ؟
ولـو انجـابت السحائـب مـا أنـت قـائل ؟

همام : سـأريها الغِـزال لـو أن بـدرًا يغـازَل
وسـتروي روائعـي في هواهـا القبـائل

ناهية : همـامُ ! مـا البدويّـات عند غيـد المدائـنْ ؟
الموقَـراتِ مـن التـبرِ حالِيـات المحاسـن
كأنمـا أنـتَ بـالبد و سـاحر أو مداهـن !!

همام : لا والـذي فلـقَ الحَـب ، سرُّه فيـه كـامنْ
لفـي المَهَـى البدويّـا ت معجـزات المحاسـن
لحـاظهن سـهام لهـا القلـوب . كنـائن
قدودهـن رمـاح في كـل قلـب طواعـن
جمـالهن الطبيعـي زاخـر بالمفـاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب   أبو الطيب السامي على كل شاعر
تحامي حسان الحضر في الشعر ناسبًا   بما في البوادي من مهيّ وجآذر
ما أوجه الحَضر المستحسنات به   كأوجه البدويات الرعابيب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطرِية   وفي البداوة حسن غير مجلوب)
(يدخل عامر)

عامر : يا مرحبًا بهمام النَّدب   إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم   فلعلّكم تجلونَ من كربي

ناهية : ضيفكَ بهوى البدويّات   ولا يحب الحضريات

عامر : أتحبّهن همام ؟ إنك شاعرٌ   ماذا تعشّق في ظباء الباديه ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دلها   ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طِوال قدودها   وتَشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبنى   (مشيرًا الى لبنى)
وخذ إن شئتَ سَعدى (مشيرًا إليها)
(مشيرًا إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية
(يضحك الجميع ويضج المجلس بالضحك)
ناهية : أما أنا فلا أحبُّ شاعرا   يَلفِظني تمرًا ويهواني رطب

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه   فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدرى من طباع الغيد ما   يُبين لي من قولك المشْتبَها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها   وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيِّ شيءٍ يفْضلُ الشاعر يا   همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لَقبلةٌ واحدة من شاعر   أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودِعها مُهجته فيرتوي   منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبَعُها على الجبين ذاكرًا   كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى   بقبلة الخدَّين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيما . ويبقى ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد   أشركتُ في عبادته
ماذا أقول لحبيبي   خُنته في غيبته ؟
أيدَّعي هواه مَن   يُخفِره في ذمته

* * *

كأني بالحب يبلو   ني بسوط نِقمته
ألحدتُ في توحيده   لم أخشَ من عقوبته
أكلما لاح جمال   هِمت في صبابته ؟

ناهية : عـامر ! مـا للضيـف لجّ غارقًـا في غشـيته ؟
إنـي أخـاف أن يصـا بَ في الحمـى بميتـه

عامر : دعيـه ! خليـه ! فـإني عـارفٌ بمحنته
سـينجلي عنـه الـذي أصابـه مـن سـكرته

همام : (باقيًا في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطردًا في حديثه)
يـا حسـنُ ! لا تعـاقبي عبـدك في جريمتـه
فقـد أتـاك تائبًـا مـن ذنبـه وهفوتـه
مـا كـان إلا عـابدًا حُسـنك في قداسـته
يشـهَده في كـل وجـ ـهٍ زاخـر بفتنتـه
في طَلعـة البـدر ، وفي الظـبي وحُسْـن لفتتـه
وفي زهـور الـروض في ربيعـه ونضرتـه
وفي وجـوه الغيـد شـيءٌ مـن ضيـاء غُرَّتـه
يختلـف المحـراب والـر بُّ بوحدانيتـه

(يدار بعامر ويغشى عليه . ترتاع أخواته وتأخذن في تنبيهه برش الماء عليه)

ناهية : عامـــرا !

عامر : هـــا !

سعدى : عامـــر !

عامر : هـــا !

لبنى : عامــــــــر !

ناهية : قـــم يا عامـــر !

همـــــام

همام : (مفيقًا من ذهوله)

مـــا لعـــامر ؟ هـــل نــــ ــــــام ؟

ناهية : (لنفسها) يهـــذي الآخـــر !

(ثم همام) أمـا تـراه سـاقطًا مغمـى عليـه يـا همـــام ؟

روعتمـــــــــا قلوبنـــــــــا الليلـــة في هـــذا الظـــلام ؟

همام : لا تخـــافي سـوءًا علـى عـــامر إنـي لأدرى بمـا يعانيـه عـــامر

أسمعيــه اســم زوجـــه يصــــ ـــحُ من إغمائـــه

ناهية إنهـا لزوج غـــادر !

همام : إن تكـن غــادرًا فـإن هواهـــا لجّ في نفس عـامر والشراشـر !

ناهية : إنـه قـد سـلا هواهـــا ؛ أيهـوا ها وقد آثرت عليه ابن جـابر ؟

همام : صدّقينـى بأنـــه مـــا ســلاها إنـني عـــارف لـــه ومخــــامر

ناهية : غصـــنُ ! يا غصـــنُ !

عامر : (يمسح جبينه)

أيـــن غصــــنٌ أجـــاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بـأكرم زائـر !!

راجعيـني يـا منيـة القلـب بـالله فإني لما جنيتِ لغـافر !

(بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيرديـ ـك - على رغم أنفه - وابن كاسر

(يجلس فلا يرى إلا هماما وأخواته)

أين غصنٌ أيمت جهة المخدع؟

ناهية : يـا عـامر انتبـه يـا عـامر !!

لم تجئنا غصن ودع عنك غصنًا إنَّ في حيِّنا مئـات الحرائـر !

همام : (لعامر)

عـامر قـم بنـا نصـلِّ فرضنـا

(يلتفت للنسوة)

وقمـنَ أنـتنَّ فهيئـن الوضـوء

وقمـن صلـين جميعًـا خلفنـا

ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟

لا نعرف الصلاة هـل تريدنـا مثل الرجـال للصلاة ننهـض ؟

حسـب الفتـاة عندنـا استقامةٌ بأن تصـوم الشـهر إذ ترمـض

عامر : حتى الرجـال بعضهـم يصلـي والأكـثر الأكـثر مـن تخلَّـى !

وكنـت فيمـا مـرَّ مـن أيـامي أخشى من الخمس على أنعامي

فإن غضبت مـرة على جمـل رميتـه بركعتيـن فاحتمـلْ !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه   وهمٌ فأقسمت لأتركنه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا   وما رزئت بَكرةً أو عنسا

همام : رباه هل تبلغ دعوة النبي   إلى ربى الصين وأقصى المغرب
وتخطئ الدعوة أرض العرب ؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب   الذنب ذنب قارئي الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب   إذ لم يبثوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب   وعطّلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)
شغلتهم قبابهم والقبورُ   أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء   فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر   إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجَّى   وعليه التكلان وهو المجيرُ
كاشفَ الضرّ إن أُصيبوا بسوءٍ   فإليه ابتهالهم والحضور
وإذا ما ابتغَوْا قضاء مرام   فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم   وهمُ عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداة أن يستظلوا   في حمى دَجلهم وأن يستجيروا
ويكونوا على هواهم نزولا   بيديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع لِيضحُوا   سُعداءً وذنبهم مغفور

آه لو هُذِّبَ البداةُ لأمسوا وبهم للأنام خير كثير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقَطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمانُ وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جمله وهمام يشد حماره يتهيآن للسفر)

همام : (راكبًا على حماره وعامر يحث جمله)

عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

عامر : أنت الذي شَببتَ بالتذكار نارًا بقلبي يا لها من نار !

هما م : كيف انطرحت ساقطًا مغمى عليك ؟!

عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسميَ استرح !!
أوآه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الجُب الدعي !

همام : يا عامر اتّئدْ وخلِ الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها مناها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبيِّ المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت
لأسقينَّ النغلَ موتًا أحمرا وأروين من دمائه الثرى
وأفتكنَّ بعده بالفاجره أقذفها قبلي لدار الآخره !

همام : يا عجبًا تقتلها وترتقب بعد لقائها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليَّ غيرتي عليها تركي سوايَ آويا إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدًا !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالنبي محرّم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاءً بعبد الله أعظم من إيلائهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلا منور الفكر وتغدو قاتلا

عامر : همام إني شاكر ودادك ونصحك الممحوض واجتهادك
فإن أطقت الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلّب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيه !

* * *

الفصـــــل الرابـــع

المشهـــــد الأول

« همام ـ خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت عائدًا إلى سيوون ـ بعد أن قضى عـامين ببلاد جاوا ـــ راكبًا على حماره ومعه دليلـه النجاب حاملاً فوق ظهره رزمة من الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام : أسـرع السـير يـا دليـلْ ! أسـرع السـير يـا دليـلْ !
إن بـــي ظمـــأةً لـمـــا ءِ بســـيوون سلســـبيل
بُـــلَّ مـــني صـدى الجـوى واشـف مـن جـوفي الغليـــل
ليت شعري ـ وكـادت النفـــ ـــس مـن يأسـها تسـيل
ومضـــت أربـــعٌ طـــوالٌ ـــ وعمـــرُ النـوى طويـل ـــ
في انتظـــاري ــــ والانتظـــا ر لأهـــل الهـــوى قتـــول
أتـــرى الوصـــل لي متـــا ح أم الوصـــل مســـتحيل ؟!
أئـــذا مـــا دنـــوتُ ميـــلا تبـــاعدتْ ألـــف ميـــل ؟!
قسمًا بـالحبيب ! ــــ أستغـــ ـــفر اللّـــه ! ــــ بـالجليل
لا أرى الوصـــلَ ممكنًـــا أو أرى وجـــه الجميـــل
وأراه بعـــين رأســـي بـــلا حـــائل يحـــول !
وأحـــسّ اليمـــين في فرعـــه مـــرة تجـــول !

ضاق صدري ، وعيل صبـــ ـــري وضلتْ بـي السبل !!
وتنــاهى بــيَ الجـــوى وبـرى جسـميَ النحــول
وتداعـــت أضــــالعي مــن نشيج ومـن عويـــل
واســتحالت قريحـــتي مـــن ذكـاء إلى ذهـــول
أتهـــادى كشــــاربٍ أوْهَنَـتْ سـاقَه الشَّـمول !
جــــاحمٌ في جوانحـــي يتلظـــى بــلا فتيـــل
كلمـا قلـتُ : ذاب قلــبي وغالتْـــه منـــه غـــول
رجّ صـــدري خفوقُـــه فتوقعْــتُ أن يميـــل !!
فحنــانيك لا تَلُـــم ! أو فلُـمْ أيهـا العـذول
ليـت شـعري هــل لي إلى مــا تمنيتُــه وصـــول ؟
فأمــانيّ أوشـــكتْ أن تمـوت مـن الذُّبــول
أيحقلـي وحـدي أنـا الجـدْ ب والخصب في الحقـول ؟!
أســرع السـير يـا دليـل أســرع السـير يـا دليـل !

النجاب : يـا أخـا الحضـر هـل تـرى رجــلاً سـيره ثقيـــل ؟
لسـت أحتــاج أن تقـول : أسـرع السـير يـا دليـل
لي مـن النفـس ســـائقٌ ينهـب الحـزْنَ والسـهول
أختشـــي أن يفوتـــني « نصر » نجّـابُ (بـاعقيل)
(يصمت قليلا ثم يقول)
أيـن نصـرٌ مـني ؟ وأيــن مــن المضمــر المزيـــل ؟
أنـــا سَـيْري منظــم لا بطـــيء ولا عَجـــول
وهـــو يشتـدُّ في الذّميـــ ـــل فيعتاقـه الذميـــل

أنا غول القفار وابـ ـنُ الديـاميم والمجهول

لا أبالي إذا مشيْتُ أذى الشمس والوحـول

همام : ما لتجارنا عباديد شتى يتبارَوْن بغضة وحقودا

كثروا عدة وقلّوا غناءً وأضاعوا بالافتراق الجهودا

وغدَوْا كلٌّ واحد ببريد ما لهم لا يوحدون البريدا ؟

فيطيقوا إرساله كل أسبو ع ويجروا به نظامًا سديدا

إن في طوقهم لو اتفقوا أن ينشئوا السفْن في البحار عديدا

وبها يستغنون عن سُفن لأجـ ـنب يصليهم العذاب الشديدا

ولقد كان للحضارم في البحـ ـر سفين أيام كانوا أسودا

جاريات من الخليج لبحر الـ ـهند حتى (أندونيسيا) لتعودا

داؤنا أننا نخيب جماعات وقد ندرك النجاح فرودا

أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !

واصل السير لا مبيت ـ إذا شئت ـ أو مقيل

النجاب (متهكمًا) :

أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل

هل تراني طيارةً هل تراني أوتومبيل ؟؟

(يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدئ بإصلاحها بحضرموت بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعبيدها)

دونك انظر طريقه ! فتُنهَى عما قليل

همام : ليته قد مشى فأو صلني الليلة (السحيل)[1]

---

(١) الجانب الغربي من سيوون .

النحاب	: لا رعـــى الله عهـــده	إنـــه عهـــد عزرئيـــل
	لا تقـدره يـــا إلـــهى	وعسّـــر لـــه السبيل !
	وإذا تمّ فابْلــــــــــهُ	بـــأذى البـدو والقبيــل !
	وإذا مـــا مشـــى فـــلا	فـــارق الوحــل والسيول !
همام	: قـــل لي لأيـــة علـــة	أبغضت خلْقًا مـــن حديـد ؟
	مـــاذا جنـاه عليـك حتـــ	ـــى خلته الخصـم العنيـد ؟
النحاب	: هـــو قـــاطع رزقـي القليـــ	ـــل غـدًا وأرزاق العديـد
	مـــن كـــل جمّـــال وحمّـــ	ـــار وزمـــاش بالـبـريد
	أتريدنـــي كـــالحضر إذ	حـــالوه مفتـاح السعود ؟
	وبشـير آمـــال النهــو	ض وفجـر أيـــام الصعـود
	تعِسـوا وخـاب رجـاؤهم	وتعـثرت بهـم الجـدود !!
همام	: (لنفسه)	
	فهِـمَ الفتـى البـدويُّ مـا	لم يفهـم النـاس الرشيـد
	(ثم للنجاب)	
	خُيِّـــتَ مـــن فطِـــن فــدا	وَكَ كـــل ذي ذهـــن بليـد
	مـــا قلتـه كـــاف لَيُثْـ	ـــقَبت مـــا يضر ولا يُفيـد
	ووراء ذاك ســـوام أبـــرصَ	تنفـــث الســم المبيــد
	شُـلّ الممـــالك والشعـو	ب وهيضـة العصـر الجديد
	مـــن كـــل لـــص قـــاتل	للمـــال والخلـق الحميـد
	لكـن ظلــم النـــاس بعـــ	ـــضهم لبعضهـم عتيــد !
	ليعيـــش فـــرد واحـــد	لا بـأس مـن شعب يبيـد!!
	ولســـوف يجنون النـــدا	مـــة منه والأسف الشديد !

المشهـــد الثانـــي

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية محفوفة بهالة عظيمة من خضرة النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام :

أهـــذه ســـيوون أم　　جنـة عـدنٍ أزلفـت للمتّقـين
للّـــــه مـــا أجملهـــا　　مَنظرهـا الزاهـي يسر الناظرين
تحسبها ـــ من بُعْـدٍ ـــ　　حديقةً خضراءَ تسقى من معين
قـد نـثرت في تُربهـا　　جنابذُ اللؤلؤ والدرُّ الثمـين !
تفـــوح في أرجائهـــا　　روائح الورد وَعرف اليـاسمين
يحنـــو عليهـــا جبَـــلٌ　　كما تضمُّ طفلها الأمُّ الحنون !
تضـــرب في أجوائهـــا　　منـائرٌ تخفـى مـرارًا وتبـين
كأنهـــا أعمـــــدةٌ　　قامت عليهن السماوات المتون
يجعلهـــا الرِّيـــاح في　　تلعابها أهدافهـا إذ ينـبرين
أو كقـرون حـامل الـــ　　أرض على قرنيهِ فيما يزعمون
أثقلـــــه آثامهـــــا　　فمرّقتْ من جوفها تلك القرون
قِبابهـــا زاهيـــــةٌ　　لو لم يكن حرمها أسمح دين

هدّم بعضها (بنو الـ ـتوحيد) فيما قد خلا من السنين
فهي ترى كأنها بيض نعام أجفلت من صائدين
ريعت فداست بعضه فهو على الأرض فليقٌ وطحين

* * *

لئن يكن منظرها وحسنها الزاهي متاعَ المبصرين
فإن في مَخبرها خير متاع لقلوب النازلين
تفرّدَت حِسانها بالظرف واللين إلى خُلق متين
ورقةٍ كأنّها نسيب (عباس) أرقته اللحون
كأنّما أنت إذا جُزتَ بها تخطر ما بين الغصون
إياك من لحاظها إياك أن تصرع من سحر الجفون

يتنهد

كأن (حسنًا) أفرغت على رباها من جمالها المُبين
نضارَةَ كَخَلْبها تَعُبُّ حتى ترتوى فيها العيون
ورقّة في جوّها كما تندى خجلاً منها الجبين
في مائها حلاوةٌ من ريق حسن ما خمور الأندرين؟
وفي محيّا شمسها ملاحةٌ من ذلك الوجه الحسين
وفي قدود نخلها من قد حُسْنٍ هيفٌ به تزين
صباحها الفضة قد سالت على زمرُّدٍ من الغصون
وذهبٌ أصيلها يبعث الأنس ويهتاج الشجون
من نحرها وثغرها ووجنتيها سرقا تلك الفتون
وليلها مُعْتبر كفرعها في عَرْفه وفي الدُّجون

مدينــــة شــــبيهها في حضرموت وسواها لا يكون

(يتــأوه)

لــولا تواتــى أهلهــا لقلــت هــذه جـزاء العــاملين

ليــس لديهــم عمــل إلا قضاء الوقت في لهـوٍ مشين

يشــقون في غربتهــم بالجمع للمال وهـم مقتصدون

حتـى إذا مـا وصلـوا إلى بلادهم إذا هـم يسـرفون

كــأنهم قيــاصرٌ يُبَــدِّدون المــال لا يكــترثون

ولا يفكّــرون في خدمتها بـالنزر ممـا يجمعون

ولا يزالــون في غربتهـم صناعـة أو يخلقـون

لينفعــوا أوطــانهم بها إذا عـادوا إليهـا راجعين

* * *

المشهـد الثالـث

(همـام في مكتبـه وعنـده صديقـه محمـد يـزوره زيـارة خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام : محمــدُ

محمد : لبيــك !

همام : مــاذا ورا ءك مــن خــبرٍ ؟

محمد : ليس عنـدي خـبرٌ

سوى أن قلبيَ مستبشر ... بنيل المنى وبلوغ الوطرْ
وأنك سوف ترى من تُحِب ... قريبًا وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مِرْية بعد في ... لقاء حبيب فؤادي الأغر
فقد درجت في انتظاري السنو ... ن وما بُلَّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمادَى اللقا ... ء تلاشت جُماداهُم في صفر

محمد : همامُ زمان المطال انقضى ... وهذا أوانُ الوصال ابتدر
أتغري بقلبك بَرْح الشكو ... ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زُيّنت ... وأهلوك في نَشَوات الحَبَر
وأكدتُ أمس على المطربيـ ... ـن ـ على رغم أنف الذي قد حظر ـ
بأن يحضُرونا مساء الزفاف ... وصبحَ الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو ... ن بذاك ؟
محمد : ... رضوا بعد طول النظر
خشُوا المانعين لهم أولا ... فداويت بالمال ذاك الحذر
ومَنْعُهم الناس أن يطربوا ... كما يطربون . دليل البطر
وليس بذاك لهم حجة ... سوى كبريائهمُ والأشر
همام : محمد ! لا أبتغي المطربين ... على أنني لك ممن شكر
لئلا يقال : لحظّ هوا ... ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروريَ بالوصل لا ... عن نَقْر الدّف أو من زمر
ولكن سيزدان بالمطربين ... زواجك ! هلاّ به تفتكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقيل ، وحيد البُكر ؟

محمد : همام رويدك !

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

همام : (لنفسه) ويلاه ما لـ صديقيَ أدمعه تبتدر ..؟
أشق عليه كلامي ؟
(ثم لمحمد) محمد زلّت لساني ألا تغتفر ؟

محمد : (لنفسه)
إلهي أبحتُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

ثم لهمام : صديقي المحسب أنك سوّ تَ فؤادي ودأبك لي أن تسر
أمثلك يجرحني قوله ؟ فتلك لعمري إحدى الكبر
ويا ابن الأكارم ماذا جنيتَ حتى تَنصلَ أو تعتذر ؟
همام كتمتك جُهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستتر
همام أتعهد مني البكاء همام أتعرف فيَّ الخور ؟!
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عذر !
وأعجب كيف تصول الظبا ءُ على الأسد؟ حتى رماني القدر!

همام : محمد ! لا تحبسنَّ الدموع ودعها على رسلها تنهمر !
فإن القلوب إذا أحدبتْ بحزن فإن الدموعَ المطرْ !
وقل لصديقك أيُّ الظبا ء رماك وصرّح له بالخبر
فما في الصبابة عار على فتًى طاهر الذيل عفٍّ الأزُر

محمد : (يكفكف من دموعه)

همـــام أتذكـــر « علويـــة » نصيرتنـــا في الجهـــاد العسِيـــرْ ؟
سليلة طـــه ، فتـــاة الحجـــى ، مِثـــالَ الكمـــال مثـــال الطهُـــر
أتتنـــي يومًـــا علـــى حالـــةٍ تُذيـب القلـوب وتجري العَـبَر
محمـد ! هــــذا أوانُ الغيـــاث وهـــذا أوانُ تـــلافي الخطَـــر
مضـــتْ ليلتـــان ومـــا عندنـــا مـــن القـــوت شيءٌ به نعتصـــر
وأخـــتي غارقـــةٌ في السَّـــقا م وإنـــي لأحســـبها تُحتضـــر
وزوجـــةُ عمـــيَ في طَلْقهـــا تعـــاني المتـــاعب والوقـــت قَـــر
وعمـــيَ ســـافر منـــذ شـــهو رِ فـــلا عـــاش مضطـــرُّه للســـفر
وكـــان لدينـــا بحانوتـــهِ يعيـــشُ ويتجـــر فيمـــن تجَـــر
فشنّع إخوانه بـــل عِـــداه ـــــ عليـــه ، وقـــالوا : لئيـــم قـــذِر
يُدنِّـــس أحســـابنا إذ يـــرو ح إلى السوق كالناس أو يبتكـــرا
فمـا أنهـتِ القـولَ حتـى غـدو تُ ويوشِـك قلـبيَ أن ينفطـر
وأذهلهـا الحـزنُ عـن موقفـي فلـــم تتحفـــظْ ولم تســـتتر
فأبصرتهـا مـن خـلال الحجـا ب كما لاح بين السحاب القمـرا
رأيت الجمال ، رأيـت الجـلال رأيـت الهوى والشباب النضـرا
وراحـت تنـثُ علـيَّ الثنـا ءَ بما قـد قضيـتُ لهـا مـن وطـر
وقـد تركتـني سـليبَ الفـؤا د قليـل القـرار ، كثـير الفِكَـر
أردّد أقوالهـــا في الضمـــير تـرنُّ بـأذني كصـوت الوتَـر !
فهـأنذا بعدهـا يـا همـامُ قصـير الرقـاد طويـل السـهر
رحمـتُ فأسعفتُ ثـم انثنيـتُ وفي كبـدي مثلُ وخـز الإبـر !
فلطفـك يا رب فيما قضيـت فلم يُنْجِ مما قضيـتَ الحـذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب   واطراح العتاب مني قبيح
أكذا تكتم الحوادثَ عنيْ   وبما دونها إليك أبوح ؟!

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي   فاعفُ عني فأنت عني صفوح
إن عِبءِ الهوى عليّ ثقيلٌ   وببثّيكَ سرّه أستريح
غير أني كتمتهُ عنك جهدي   حذرًا أن ينالك التبريح
ولو أني نظرتُ فيك لحظي   يا خليلي للذّ لي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري   فاسلُ عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو   ساعيًا في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضا   ك وحسب المليح زوج مليح

محمد : (لنفسه)
هو يدري بأن ما أتوخا   ه مُحال من الأمور طروح[1]
فهو يبغي بذاك تخفيف حزني   إنني بالأسى إذًا لذبيح

* * *

---

(١) بعيد .

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه ـ في سير بطيء ـ إلى جهة بيت همام).

القينات : نحن نزُف الشمسا والشمسُ في ضُحاها
فما أجلَّ عُرسا يغمره سناها !

الجمهور : نحن نزُف الشمسا والشمسُ في ضُحاها
فما أجلَّ عُرسا يغمره سناها

القينات : نحن نزف الحيا نحن نزف المُنى
نحن نزف الضّيا نحن نزف السنا

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

القينات : يا عُصبةَ الغواني هَلُم للتطريب !
اشدون بالأغاني واهتِفْن بالنسيب
واضمُدْنَ بالأماني دوامِيَ القُلوب

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

القينات : حيّين بالسلام هذا الشعاع المسكوب !
وافتأن بالأنغام كل حزين منكوب

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

القينات : روائح الجنان تعبق من هذي الدّور
كأنما المغاني أمسَتْ مراقص الحور!
نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

القينات : نحن نزف الملَكْ في صورة الإنسانْ
يجلو ظلامَ الحلَكْ ويقشع الأحزانْ
فهل لديكم فلَكْ بنوره يزدان !؟

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

القينات : يا قمر السماءِ غُضِ الجفونَ أغضِ
بالذكر والأسماءِ عوذتُ بدر الأرضِ

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...
... ...

(يقتربون من بيت همام)

القينات : سُقْنَ إلى همام جمالَ هذا النادي
واحدونَ للضرغام لباةَ هذا الوادي

الجمهور : نحن نزف الشمسا ... ...

... ...

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار النسوة اللاتي زففن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ، ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن بالدفوف .

القينات : اليُمْن والإقبال والسعد والسعادهْ
للمُعْرِسين فال والفضل والزيادهْ
شاعرة نسوة الزفاف : نحن نزف الحُسنا نحن نزف بلقَيس !
ثم سائرهن : نحن نزف لُبنى فهل لديكم من قيس ؟
شاعرة نسوة الدار مجيبة : همامنا كالمأمون إن زففتم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!
نسوة الزفاف : النصر للعروسة !
نسوة الدار : بل هو للعروس !
نسوة الزفاف : للدرَّةَ النفيسهْ
نسوة الدار : للجوهر النفيس !
نسوة الزفاف : للحُرَّةِ المصونة وربة الجمالِ
للدرَّة المكنونة واسطة اللآلي !
نسوة الدار : لمفْخَر المدينهْ لسيد الرجالِ
نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرَم الخِلال
نسوة الزفاف : النور والشعاعُ ووَهج الشموسِ

والجوهر اللمّاع ... وحبَب الكؤوس
جميعها أشياع ... لهذه العروس

نسوة الدار : المجد والكمالُ ... وكرم الأخلاقِ
والقولُ والفعالُ ... وحسَبُ الأعراقِ
جميعهن آلُ ... عروسنا الغيداق !

نسوة الزفاف : نحن نزف الحسنا ... نحن نزف بلقيسْ
نحن نزف لُبنى ... فهل لديكم من قيس ؟

نسوة الدار : همامنا كالمأمون ... إن زففتم بورانْ
وإن تكن بلقيسًا ... فإنه سليمان

القينات : كلا العروسين زينْ ... للمجد والعلاء
فلا تفاضلن بينْ ... سراجي السماء
أينَ المجرةُ أينْ ... كواكب الجوزاء
أصوغهنّ للذينْ ... تاجَين بالسواء

القينات ثم الجميع : يا رب باركهما ... في ذا الزواج السعيد
واجعل زمانهما ... كأنه يوم عيد
وانفحهما بالوُلْد ... مثل دراري النجوم
في ظل عيش رَغْدْ ... وفي صفاءٍ يدوم

(ستار)

الفصـــــل الخامـــس

المشهـــــد الأول

علويــة : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية : عُدتِني حُسن؟ مرحبًا بك يا أخـ ـــتُ !
حسن : وقاكِ الإلـــه مـا تحذرينـا !
ما الذي تشتكين ؟ نفسي فداءٌ لـك مـن كـل علة تشـتكينا !
علوية : أقصري حُسنُ أن تمنّيْ على ربك ســـوءًا لعلـــه أن يكونـــا
بل سلي الله لي الشفاء عسى أن يقبـلَ الله منـكِ مـا تسـألينا
أو ســليه لِيَ العــزاء فــإني لا أرى الـداء تـاركي أو أبينـا
حسنُ ! إني أحِسّ في الصدر نـارًا تتلظّـــى كـــأنّ فيــه أتونــا !
أشرب الكأس بعد أخرى من الما ء فـلا أرتـوي كمـا ترتوينـــا
أحسِب المـاء يسـتحيل بجـوفي لهبًـا في الحشـى يمـن أنينـــا
أنــا لا أسـتطيع أن أدّع المـــا ء ، ولا المـاء قـادر أن يُعينـا !
حسن : لا تخافي سوءًا ! فمثلكِ في العفّـ ـة والنبـل مـا نمـى الوالدونـا
تبذلـين المعـروف جهـدك للنـا س ، وتولـين منهـم المسـكينا
وتراعـــين للجـــوار حقوقًـــا وتواســين بائسًـــا وحزينـــا
وتوالين من يحامي عن الحـق وإن غـــاظ فعلـــك الأهلينـــا
فإله الـورى سـيرعاكِ ، لن يتـ ـــرك يومًا عبـاده المحسـنينا

علوية : قدْكِ ؛ هذا جميلُ ظنك في أحـــ ـــسنك ، لا خيّب الإلـه الظنونـا
إن ربــي بخَلقـــه للطيـــفٌ يتـــولى عبـــاده الصالحينــا
غـير أن العبـاد بعضهـم يظــ ـــلم بعضًـا ، عـن ربهـم ساهونا
أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي لي وأبنـاء عمـي الأقربينـا ؟
وتصدّيهـم لمـا ليـس يعنيـ ـــهم ، وعن واجباتهم يعرضونـا
مات زوجـي ووالـدي فلـم يُبق لي الدهـر عـائلاً أو خدينـا
غيرَ عمي ــ وأنت تدرينَ ما عمـ ـــي ؟ فقـيرٌ يناهز الستينا
قد وهَى جسمُه ، وخارت قـواه وابتـلاه السـقام حينًـا فحينـا
ألجـأوه إلى السُّـفار ليجلـو عنهمُ العـارَ ، هكـذا يزعمونـا
زعمـوا أن بيعـه وشـراه يكسوان الأشراف في القطر هونـا
ثم إنـي مكثتُ في عصمة الأيـ ـــم وفي رِقْبـة الـزواج سنينا
لم يجئني منهـم ليخطُـب ودّي أحـد غـير فتيـة عاجزينـا
وأبـي عـالم وجـديَ حِـبرٌ وأصـولي أئمـة متقونـــ
ولعـل المـرآة تصـدق عـني إن وجهي ما كان في الحسن دو
حسن : بل تعالى الذي براكِ ، وحـلا كِ جمـالاً يحـيِّر الناظرينـا !
ســطعت أنـوار النبـوّة فيـه فاستحالت مباهجًـا وفتونـا !
علوية : وأتـاني محمـد وهـو مـن بيـتٍ حسيب أصلاً كمـا تعلمينـا
رجـل يمـلأ الصـدور كمـالاً وجـلالاً كمـا يسـر العيونـا !
كـان لي كلمـا تضـايق حـالي سـاعدًا قبـل خطبـتي ومعينـا
وهو كفئي وكفء أفضل مني حسـبًا أو فضيلـة أو دينـا
فـأتوا يزجروننـي عنـه حينـا ويسـوموني التهـدُّدَ حينـا
مـا رأوا لي من قبـل ذلك دارًا فأتـوا بعـد ذاك يستبقونـا

ما ثناهم عن خطبتي غير فقري ليس عندي ملمال ما ينشدونا
ذهبوا لابنة الغني وإن لم يك من بيتهم وإن كان دونا
وانبروا يمنعوننا من سواهم فلمن ويحنا إذا يتركونا ؟
فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بمَ أبكي وقد أرقتُ الشئونا ؟
رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : مِمّ تبكين حَسنُ ؟
حسن : من أجل بلوا كِ فؤادي أحسه مطعونا !
تب ذا العيش! لا هوى ليَ في العيـ ـش إذا لم تحظَيْ بمن تعشقينا
علوية : أقصري حسن! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا
حسن : نحن نحيي وأنتما ؟
علوية : فوقنا اللّـ ـه سيأسو جراحنا ويلينا
فوقنا اللّـه ..
حسن : فوقنا أيضًا اللـ ـه سيأسو جراحنا ويلينا

* * *

المشهد الثاني

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن : حبيبي ؟
همام : أجل مُنيتي !
حسن : أما لكَ في قبلة ؟
تعال إلى جانبي أما لكَ في ضمةٍ !
همام : (يهوى إليها)
بلى يا حياةَ الفؤا د ، ولبيكِ يا مهجتي !
هبيني لماكِ هبينيَ أطفي به غلتي !
هلمي نطُف بالحيا ة كالنحل بالزهرة !
فما في المنى مثل قبـ ـلة الزوج للزوجة !
ننال بها نعمة وحسبكِ من نعمةِ
ونجني بها لذّة وناهيكِ من لذّةِ
وهل كنعيم يجيء من الله بالرحمة ؟!
حسن : حبيبي ! أما لك عن هوى الشعْر من توبة ؟!
أبي أنا وحدي نسيـ ـبُكَ أم بي وبالنسوة ؟
أرى نَبرَات العُمو م تعصِف بالوحدة
همام : حبيبة قلبي ! أقِلّي عليَّ من الغيرةِ
هلمَّ ادخلي للفؤاد وافضِي إلى الحبّة !
فهل تجدينَ بها لغيركِ من عُلْقة ؟

حسن : كـــذا فلتكـــن لِيَ في حيـــاتي وفي موتـــي
فمـــا في حيـــاتي خشـــيتُ بـــل بعدهـــا خشـــيتي !
حبيـــبي اغتنـــم ســـاعة مـــن الصفـــو والبهجـــة !
فقـــد لا تطـــول حيـــا تـــي ، وتقصـــر بـــي مدّتـــي !

همام : دعـــيْ عنـــكِ هـــذا ، وقـــو لي ســـوى هـــذه الجُملـــةِ
بربـــكِ لا تذكـــري لنـــا شـــبح الفُرقـــة !
فلـــم نســـترح بعـــد مـــن متاعبهـــا الجمّـــة
ولم نقْـــضِ بعـــض اللُّبـــا نـــةِ مـــن هـــذه اللُّقيَـــةِ
حبيـــبيَ لا تلْحِينـــي واشـــفِق علـــى عَـــبرتي !

حسن : (تبكي) أحسُّ كأن الحِمـا مَ منّـــي علـــى خُطـــوة !
ويهمـــس لي خـــاطري بـــأني علـــى رحلـــة !

همام : دعـــي عنـــكِ هـــذي الوســـا وسَ ، جســـمُكِ في صحـــة
ووجهـــكِ هـــذا الجميـــــل ينبُـــع بـــالنّضرة
وســـوف تجوزيـــن عُمـــــرَ جـــدّكِ والجـــدّة

حسن : سَـــلِمْتَ حبيـــبيَ لي !

همام : ولي أنـــتِ يـــا بُنْيـــتي !

حسن : لقـــد زال عنّـــي الـــذي شـــعرت مـــن الخيفـــة
وذابـــتْ همومـــيَ مِنْـــــك في كوثـــر الجنّـــة

همام : فديتُـــك ! حُسْـــنٌ ســـتبقى بـــيـــتيَ كالشـــمعة !
وتـــأذنُ لي بـــالرّحيل لأمّ القـــرى مكـــةِ
وتدعـــو لي الله أن يُقصّـــرَ مـــن غيبـــتي
كمـــا ترتجّـــاه أن يحقـــقَ لي طِلبـــتي

حسن : أحجًّا تُريد ؟

همام : أجـــل وشـيئًا مـــن القُربـــة

لأسـعى هنـاك لتزويــــج خلّـيَ مـن خلّـيّ

محمـدُ جِلْـفُ الفـراش يـنـوءُ مـن العلّـة

أضـرَّ بـه اليـأس في هـواه لِعَلْويَّـة

وأخشـى عليـه المنيّـة مـن هـذه الصدمـة

وأخبـرني أنـه بعـثتُ إلى العِـترة

وأنَّ بـأم القُـرى معالـمَ ذي النِسـبة

فقـد جـاء منهـا أبـوهُ إلى هـذه البلـدة

وفتـشَ في النسـوة الـشرائف عـن زوجـة

فقـالوا لـه : لانتمـاك في بيتنـا أبْـتِ

فثـارتْ بـه غضبـةٌ وبـورك في الغضبـة !

ومـالت بـه عـزّة وبـورك في العـزة !

وقـال إذا لم يكُـنْ لـديّ سـوى نِسْبَتِي

فـلا بـارك الله في خـلالي ولا همّـتي !!

وزوجـه ذو الجـلال مـن أمـه البـرة

فعـاش سـعيد الفـؤاد بهـا هـانئَ العُشـرة

كـذا عـن أبـي أمّـه حكـى مُجمـل القصـة

حسن : همـام ! بيُمـن الإلـه وفي الحفـظ والعصمـة !

يرافقـك الله في خُطَـى هـذه السَّـفرة

وإنـي لمسـرورةٌ برعيـك للصُّحبـة

ومَـنْ كمحمـدَ في ولائـك والذمـة !

بحبّكَ عطفي عليه وحبّي لِعلْويه
ألم يسمعا قبلُ في دعولك في عصمتي ؟
ألم يبذلا الجُهد في هنائكَ أو غبطتي
وقد عدتُها أمسِ وهي تقعقعُ بالزفرة !
بنفسٍ تريد الحياة على جسدٍ ميّتٍ !
تنوح على نفسها وتزخر بالحسرة !!
وقد أنفدَت دمعها فتبكي بلا دُمْعة !
رثيت لها يا همام ! وخفْتُ على خلتي
لأني أراها تُشير إلى الموت من خُفْية !
فمن أجلها يا هُمام شكوكيَ في صحتي
وإحساسُ قلبي بأني قريب من النُقْلة
ولكن لعلّ الإله يكشفُ من محنتي
سأمضي لتبشيرها وتفريحها بالّتي
لعلّ بها أن تكفَّ من عَلَن اللوعةِ !

* * *

المشهـــد الثالـــث

(محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه العجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكتوب فيفضه بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مني عليك سلامٌ   وسلام الرحمن فوق سلامي
يا حبيبي إن المنيّة حمامٌ   كلنا شاربٌ بذاك الجام
والسعيد الذي يموت سليمَ الـ   ـقلبِ عفٌّ الرداء من كل ذام
فمتى جاءكَ النَّعِيُّ بموتي   فترحم على شهيد الغرام !
أنا في النزع يا حبيبي فصبراً   لا تضعضع لحادث الأيام
ووداعاً! إلى اللقاء! على الكو   ثر! في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلْ بيننا الحياة ففي الخلْـ   ـدِ سنحظى بلقيةٍ ووئام
سيرى الحائلونَ دون الحبيبَـ   ـين جزاءَ الإله ذي الانتقام

علويّة

محمد : (يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بجهد ومشقة)

هي في النزع! آهِ ما أعظم الخطـ   ـب وأقسى على فؤادي الدامي!
هي في النزع! ربِّ هَوِّن عليها!   حسبها ما رأتْ من الآلام!
منعوها الحياة ظلمًا فأودَوْا   بحياةٍ بريئةِ الأحلام
رب! لاخير في الحياة! فألحِقـ   ـني بها واكفِني عناء السَّقام
هي روح الوجود مني وما يُصنـ   ـنعُ بعد الأرواح بالأجسام ؟

أكذا نترك الوجود ولم نحـــ ـــظَ بوصل، ولم نفـز بمرام ؟!
أكذا يُرفـع البساط وما دا رَتْ على العاشقَين كأس مدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب ماذا أحِسُّ ؟ هذا فتور عجَب في مفاصلي وعظامي !
خار جسمي فما أطيق حراكًا ! وتناهت بُرودة الأقدام
ما لرأسي أضحى عليَّ ثقيلاً وجفوني يُغْرينَني بالمنام !
ويدي لا تطيق حمل سِواكي ! ولساني تعثرت بالكلام !
وفؤادي دقاته تتوالى علَّ هذا نذيرُ قرب الحِمام

(يتذكر صديقه همامًا)

أين ولّى همامُ ؟ يا ليته عنـ ـدي أراه في مُنتهى أيامي !!
نضر الله وجهه من صديق مخلص لي على مدى الأعوام
كم هداني من الضلال، وكم عبّـ ـد سُبْل الحياة من قدّامي
أمّ صوبَ الحجاز في لفحة الصيـ ـف حريصًا على قضاء مرامي
ليس يدري أني بمدْرَجَة المو تِ وأني على شفير الرِّجام
ومضى غيرَ عالم أن حُسنًا مُنِيَت بعده بحُمَّى لِزَام
ليت شعري إن جاء نعيي همامًا ثم ماذا تكون حال همام ؟
أو أصيبت ـ لا قدر الله ـ حسنٌ فهي أدهى فجائع الأيامِ !
وهو في غُربةٍ وليس لديه من يهدّي فؤاده المترامي !
حُسنَ يا رب بالشِّفاء عليها لا تذَرْها رَميَّةً للسهام

* * *

إن مِن خلفها فتًى ينصر الحق جهارًا وعن هداك يحامي

شعَّ من هديه على القُطْر نور ... فإذا مات عاد للإظلام
واستعاد الجمودُ سلطانه الضخـ ... ـمَ ، وعزَّت سواعد الأوهام
هي سُلوانه الوحيد من الدنـ ... ـيا إذا ضاق بالخطوب العظام
عَوْنُه إن جنى الجهاد عليه ... وأراه تنكُّر الأقوام

(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص! فصبراً ... سوف تسلو هذي الجراح الدوامي!
وستلقى الحبيب في ربوة الخلـ ... ـد يحييك ثغره بابتسام !
وسأغدو إلى الإله فيعفو ... عن ذنوبي وسالف الآثام
وسأشكو إليه من رَزَأوني ... في ربيع الحياة ـ في أحلامي
وأراقوا دمي البريء ، وضحّوا ... بحبيبي في مذبح الأوهام !
تخذوا الدين جُنةً يتوقَّوْ ... ن بها في الورى سهام الملام
فسيدرون أنني علَويٌّ ... تنتهي نسبتي لخير الأنام
غير أن الحِمام أهون عندي ... من فخاري بالجد والأعمام
وادِّعائي به على الناس فضلاً ... يتقاضاهُمُ رسوم احترامي !
عَزَّ دين الإسلام ! قد جعل النا ... س سواء في شرعه المتسامي
لم يدع ميزة لزيد على عمـ ... ـرو ، ولا حارث على هَمَّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترنو إليه في ذهول وتتحادر دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)

إصبري يا أماه ! فالله أبقى ... لك مني ومن جميع الأنام !

(يصوب نظره إلى السماء)

رب رفقًا بقلبهـا المتشـظي ! وحنانيك بـالدموع الهوامـي !
كن لها إن أتت ضحىً بطعامي فتنـادي وليـس رب الطعـام !
كن لها إن أتت سريرى لإيقا ظي ؛ فـترتد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعتـان كبيرتـان ويدخـل في دور الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب! من ذا أرى ؟ ملائكة المو ت ؟ ألا مرحبًا بوفـد السلام !
رب! إني آمنت أنك أنت اللّـ ـه رب الجـلال والإكـرام
ونبيـي محمـد سـيد السـا دات طـه إمـام كـل إمـام
كلُّ زادي إليك خالصُ توحيـ ـدي فَهَب لي يا رب حسن الختام

* * *

المشهــد الرابــع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج الموزع .

همام : (بيده البرقية لم يفتحها بعد)

برقيــة ! مــا شــأنها قــل لي ؟ هل مات لي أحد مــن الأهل ؟
إنــي أحــس كــأن حادثــة جللا ستُفجعنى علــى مَهْــل
يا برق مــاذا أنــت تحمــل لي إنــى أراك تَنــوء بــالثقل !
قلــبي يحدثــني ؛ ولم أره يومــا يحدثنــى علــى جهــل

(يفتح البرقية ويجيل نظره فيها بسرعة) .

مــاذا ؟ أماتــوا ؟ أماتــتِ حُســنٌ ؟ واكبــدي
ربَّاه ..! خــذ بيدي ! ربَّاه ..! خذ بيــدي !
(يسقط من مقعده على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه البــاب حيــث يجدانــه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحزْني وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلَقْ لأشهد مِنْ
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي يمدُّه دم الكبد !
يا رب لم يبقَ لي في العيش من أرب
فلَقِّني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذًا حسنٌ؟ ومات محمد ... وماتت على أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبابي بيوم فقدتهم! ... فيا لفؤادٍ أُثخِنت طعناته ؟
يذوب من الشكوى ويدمى من الأسى ... وليس إلى غير الإله شكاته
محمدُ يا خير الأخلاء! والذي ... صفتْ مثلما تصفو المدام صِفاته
حنانيك لا تبعَد! لمن أنت تاركي؟ ... لقاسي زمانٍ أولعت بي عُداته ؟
ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي ... به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أتمضي و لم نهتِك من الجهل سِتره   وما انفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟

أتمضي وفي جنبيك قلبٌ معطَّش   من الحُب لم تُبْلَلْ بوصلٍ لهاته ؟

أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا   تُغِصُّ به حلقَ الحسود شجاته ؟

أحين ظفرنا بانتسابك واضحًا   تكُفُّ به طرفَ الحسود قذاته ؟

وكنت على قاب من الوصل هاتفًا   تطلّق عن غُرّ المنى بسماته ؟

وأنتِ فتاةَ النُبل والطُهر والحجى   تغشتك من رَوْح الرضى نفحاته

لضاعفَ من حزني فراقك أنّه   فراقٌ به لاقتْ حبيبي وفاته

أراكِ وفاءً ما رأى الناس مثله   فدًى لحبيب بالوفاء مماته

ولم أنسَهُ لما رآكِ مريضة   فجاشت به في مشهدي حسراته؟

(تنهمر دموعه)

يقول : كأني يا هُمام سأنتهي   كأن حِمامي قد أقيمت صلاته!

فقلت له: دع عنكَ وهمكَ، إنَّ ذا   محيَّاك نَضْر لم تَحُلْ قَسَمَاته !

فأصغى لقولي واطمأن فؤاده   وقرّت ـ على سُحر الردى ـ رجفاته

وما كنت أدري أنني أنا واهمٌ   وأن حبيبي صادقٌ كلماته !

(يريد أحد الجارين أن يقيم هماما من الأرض فيجذبه صاحبه)

دَعْـــه يُرســـل دمعـــه　　من بكى الشجو استراح
وإذا مـــا كَبَـــتَ الـــ　　ـحُزْنَ في جنبيـــه طـــاحْ

الجار : ويحـــه مـــن مُوجَـــع　　دَمِيَـــتْ منـــه الجـــراح !

صاحبه : مـــا عليـــه الآن بـــأ　　س وقـــد صـــاح ونـــاح

همام : حبيبي ! مالي في رثائك مقول　　كأن فمي شُكَّت برمحٍ لهاته !
رثاؤك في قلبي يهدّ أضالعي　　وتدفع في أحنائهـــا ضرباتـــه
ولا يستطيع الشعر وصفًا لهوله　　وتقصر عـــن تصويـــره خطواتـــه
على أنه الشعر الذي الشعر دونه　　سرت في الورى مسرى الضحى بيّناته
وإن قريضًا أنت مصدر وحيه　　لتَســـجد عُـــزّاه لـــه ومناتـــه !
يميل بعطف الكون قدسيُّ لحنه　　وتعذُب في سمع الدُّنـــى نغماتـــه
تَقطّـــعُ أعنـــاق البلاغـــة دونـــه　　وتُزْهَـــى بـــه بـــين الأنـــام رواتـــه
تُغَصُّ به حساده وهـــو سـائغ　　وأقتـــلُ مـــاء للحســـود فراتـــه
ولكنه الخطب الذي الخطب دونه　　تلقـــاه قلـــب لا تلـــين صفَاتـــه
ولو غيره أضحى به بعض ثقله　　لقـــامت عليـــه في المســـاء نعاتـــه
فهـــا هـــو ذا قلبي كسيرًا محطمًا　　تفيـــض دمًـــا تُجَّاجَـــةً جنباتـــه
لمن أطلب العلياء بعدك ؟ إنمـــا　　حَدَتني إليهـــا مـــن سناك حُداته !
وأيـــن سبيل المجد بعدك ؟ إنمـــا　　بنـــور محيـــاك انجلـــت ظلماتـــه
فأنت الذي علّمتَ نفسي ركوبه　　ولـولاك مـا ذلّـت لهـا صهواتـه !
ولَقنتهـــا حُـــب الهـــدى وجهـــاده　　ولـولاك مـا اجتِيزَت لهـا عقباتـه
أتمضي وما جفّتْ رياحين عُرسنا　　ومـــا برحـــت بسّامة زهراتـــه ؟
أتمضـــي ولمـــا يَشْفِ قلبي أوامـــه　　ومـا شقّقت أكمامهـا صبواتـه ؟
سلام على قَـــبْرِ الحبيب ورحمـــة　　وغـــيث رضـــى ما تنتهي قطراتـــه

لئن كان أنسي في الحياة لقاؤه　　فانسي وهمي بعده ذكرياته!!
كأني بالثغر الجميل على فمي　　ترف به في نشوةٍ قُبلاته !
كأنّي بالفرع الجميل بمنكبي　　تداعبني في عَرْفها خُصُلاته !
كأنيْ بيمناه تجول بمفرقي　　فتلثمها في نشوةٍ شعراته !
لئن حالت الأيام بيني وبينه　　وقُدِّر للشمل الجميع شتاته
ففي جنة المأوى غدًا سوف نلتقي　　بفضل كريم لا تُحَدُّ هِباته
وإن عزاء القلب إيمانه به　　وقد فارقته في الحياة حياته

(ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجدِ　　خذوني إلى الحجر الأسود !
خذوني إلى زمزم علها　　تُبرد من جوفي المُوقَد !
خذوني لأستارِ بيت الإلـ　　ـه أشُدُّ بها في ابتهالٍ يدي
دعونيَ أذهب إلى خالقي　　دعونيَ أذهب إلى سيدي !
دعوني أحطُّ على بابه　　ثِقال الدموع وأستنفِد
فإن أحيَ على لُطفه　　وإن يأتني الموت أُستشْهَد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جاراه . يقصد زمزم فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :

الحمد لله اطمأنَّ قلبي !　　هأنذا بين يَمينَيْ ربي ؟
إن عظُمت مصيبتي وخطبي　　فالله يرعانيَ وهو حسبي !

* * *

يا رب أنت الواحد القهار وأنت ذو الرحمة والجبّار
تفجّرت من نورك الأنوار وقَصُرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمتَا ! فرَضِّني ربِّ بما حكمْتَا
لعلني أجهل ما عَلِمْتَا من صالح لي في الذي أقمتَا

* * *

يارب ألهمني العزاء الشافي ! واضمِد جروحي منك بالألطاف
وآتِني عزائم الأسلاف فأنت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولني مُناي في الدارَيْن و(حُسنًا) اجمع بينها وبيني
في دار خلْد بين جنتَيْن أقْررْ بذاك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمّة الإسلام) واقذِفْ بها إلى المقام السامي
حتى تُرى خفّاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

* * *

ووحّد (العُرْب) ، فإن الوحده تحيي لها ماضيَها وعهدَه
تعيد بعد الاندراس مجدَه والله لا يُخلف يومًا وعده

* * *

وانظر إلى (الأحقاف) بالرعاية وأولِها بفضلك العناية
بالعلم والأخلاق والهداية فَجَلّ عنها الجهل والعَمَاية

* * *

وصل يا رب على المختار خير الأنام سيد الأبرار
وآله وصحبه الأطهار ما طلعت كواكب الأسحار

* * *

هذا وقوفي خاشعًا بين يديك ! وتائبًا من كل آثامي إليك
متكلا في كل أحوالي عليك لبيك يا رب الجلال لبيك !

* * *

(ستار الختام)

للمــؤلف

١ ـ هُمام أو في بلاد الأحقاف
٢ ـ أخناتون ونفرتيتي
٣ ـ سلامة القس
٤ ـ واإسلاماه
٥ ـ قصر الهودج
٦ ـ الفرعون الموعود
٧ ـ شيلوك الجديد
٨ ـ عودة الفردوس
٩ ـ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
١٠ ـ سر الحاكم بأمر الله
١١ ـ ليلة النهر
١٢ ـ السلسلة والغفران
١٣ ـ الثائر الأحمر
١٤ ـ الدكتور حازم
١٥ ـ أبو دلامة (مضحك الخليفة)
١٦ ـ مسمار جحا
١٧ ـ مسرح السياسة
١٨ ـ مأساة وأديب
١٩ ـ سر شهر زاد

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
الترقيم الدولى : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٣٠٠ قرش